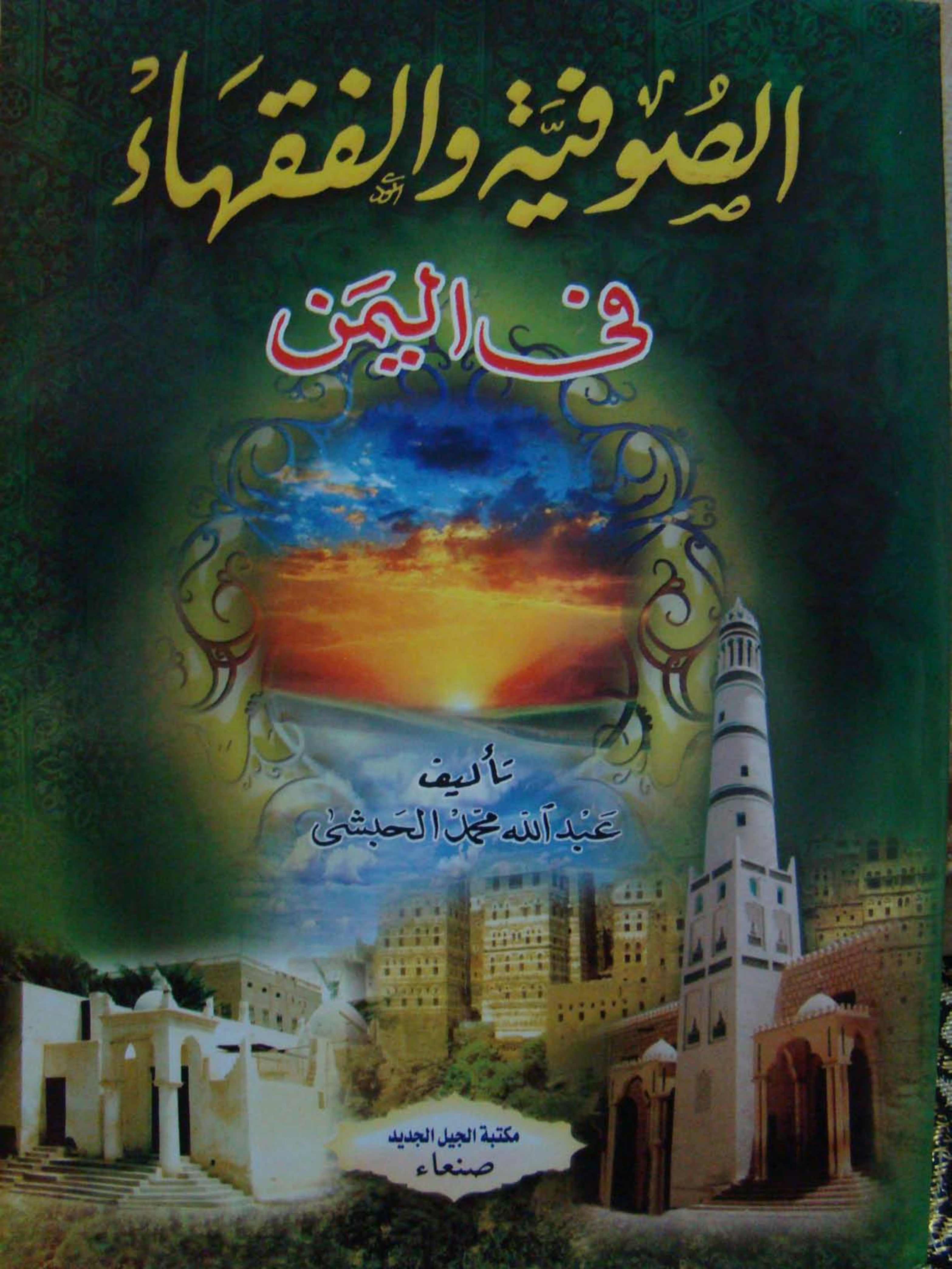

الصوفية والفقهاء
في اليمن
تأليف
عبد الله محمد الحبشي
مكتبة الجيل الجديد
صنعاء



الصوفية والفقهاء في اليمن

تأليف

عبد الله محمد الحبشي

١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وبعد فإن إهتمامى بنزاع الصوفية والفقهاء فى اليمن وهو موضوع هذا الكتاب مرده إلى سببين .

أولهما : الاهمية العلمية الحصيلة الفكرية التى خلفتها معارك الصراع بين الصوفية والفقهاء فى اليمن إذ أن أبطال هذه المعارك كانوا من خيار القوم وخاصة الفقهاء المتصوفون منهم تلك المعارك التى اتخذت شكل الفر والكر ولم يدم فيها النصر لهذا الفريق أو ذاك اظهرت معالم النزاع وحددت ملامح القضايا التى دارت فيها حلبة الصراع وصبغت الحصيلة الفكرية من الثقافة بالوان الفقهيه والصوفية .

ثانيهما : ان هذا النزاع غطى فترة زمانيه ليست بالقصيرة فى تاريخ اليمن والذى أعطى هذا الجانب أهمية ان آثار هذا النزاع لم تقتصر على النواحى الفكرية فحسب وإنما تعدتها إلى الناحية السياسية ذلك لأن الولاة كانوا هم قادة هذه المعارك وكان موقفهم هو الذى يرجح هذا الفريق أو ذاك وإلى لارجو ان الون بهذا الجهد المتواضع قد اسهمت فى إعطاء صورة وان كانت مختصرة عن ذلك الصراع وأبطاله وآثاره كما أرجو من الله ان يوفقنى ويوفق

غيرى للعودة إلى هذا الموضوع وإعطائه الأهمية التى يستحقها من الدراسة والتمحيص واستخلاص ما يفيد هذه الأمة ويعمق جذورها لكى تنطلق إلى المستقبل بفكر ووعى وأصالة تقيها من مهاوى الانزلاق والتردى فى أعماق التقليد الأعمى ولا انسى بهذه المناسبه ان اشكر مكتبة الجيل الجديد الغراء لما بذله من جهد فى سبيل طبع هذه الدراسة المتواضعة وإخراجها إلى حيز الوجود راجيا المولى ان ينفع بها .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المؤلف

فهرس أبواب الكتاب الرئيسية

فى التصوف اليمنى وتاريخه

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ التصوف من خلال أعلامه

دخل التصوف الإسلامى اليمن من خلال الزهد الذى دعا إليه الاسلام وكتابه العظيم وقد كان التصوف نتيجة حتمية لما انتهى إليه القوم من الإغراق فى العبادة والتقشف . على أننا لا نريد أن نعود بالتصوف فى اليمن إلى أصول ترجع إلى ما قبل الإسلام كما هى العادة عند أكثر الباحثين فى مثل هذه الدراسات، إذ التصوف إذا كان من حيث هو زهد وعبادة وتقشف فهو معروف عند أكثر الأمم وهو من حيث مادته ظاهرة إنسانية عامة لا تنفرد بها أمة من دون أمة . وإنما نعنى بالتصوف هنا هـذا الذى وصلنا فى صورته الاسلامية بما له من أتباع وتقاليد وآداب .

وقد كانت البداية للتصوف فى اليمن بداية يشوبها التعميم والشمول فلا نستطيع أن نحصرها فى شخص واحد نسمه بصبغة التصوف وإنما هى فى صفة جماعية يشترك فيها كثير من القوم . وقد تفشت صبغة التصوف خلال القرن الأول الإسلامى وكان أهل اليمن هم أكثر الناس معرفة لحقيقة الاسلام وما أتى من أخلاق تركت آثارها فى نفس المسلم اليمنى ولا غرابة فى ذلك وقد تفرس رسول البشرية هذه الظاهرة فى أهل اليمن فقال (أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً

وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانيه)(١) وهذه الرقة التى عناها الرسول صلى الله عليه وسلم هى بذرة التصوف فى النفس البشرية .

ومع كثرة المتصوفين من الرعيل الأول فى اليمن سنكون مضطرين إلى تعيين بعض الأشخاص - حتى لا يطول البحث - فمن هؤلاء جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم من الذين يرجعون بأنسابهم إلى أصول يمنية كأبى موسى الأشعرى الذى ولد بوادى زبيد وكان من زهده وعبادته أنه سأله معاذ بن جبل كيف تقرأ القرآن فقال أقرؤه فى صلاتى وعلى راحلتى ومضطجعاً وقائماً وقاعداً أتفوقه تفوقاً(٢) . ويقال أنه صام حتى أصبح كأنه خلال فقيل له لو أرحت نفسك فقال هيهات إنما يسبق من الخيل المضمرة . ومن وعظه قوله (أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت) توفى رضى الله عنه سنة ٤٤ هـ .

ومن زهاد اليمن فى عصر الصحابة الصحابى الجليل أبو هريرة عبد الرحمن ابن صخر كان من دوس وولد باليمن ونشأ يتيما فرحل إلى المدينة ولقى النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول (كنت اعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وإنى كنت أشد على بطنى من الجوع) وقد ظلت نزعة العبادة والزهد ملازمة له حتى آخر أيامه ومن طريف ما يذكر عنه أنه ولاه عمر بن عبد العزيز على ناحية البحرين ثم رآه لين العريكة مشغولا بالعبادة فعزله وطلبه بعد زمن من العزل وتوفى سنة ٥٩ هـ (٣) .

---

(١) أنظر هذا الحديث وتخريجه فى تاريخ صنعاء للرازى ص (٦) (هامش) .
(٢) أبو الفرج ابن الجوزى : صفة الصفوة .
(٣) يراجع فى ترجمته كتاب . تاريخ صنعاء . أعلام النبلاء للذهبى مرآة الجنان اليافعى وغيرها .

ويأتى بعد طبقة الصحابة جماعة من الأخيار اقتفوا آثار السلف حتى سموا بالتابعين لاتباعهم لهم وكان لليمن من هذه الطبقة نصيب وافر من الرجال لا يزالون النبراس المضىء للنسك الاسلامى الخالص فى صورته الحقيقية بعيداً عن المؤثرات الخارجية . فمن طبقة التابعين عمرو بن ميمون الاودى الذى أدرك جماعة من صحابة الرسول (وكان عابدا زاهداً معدوداً فى الأولياء) ويقال أنه حج مائة مرة ما بين حجة وعمرة وهو من حضرموت توفى سنة ٧٥ بالكوفة(١)

وعلى رأس هذه الطبقة التابعى الجليل طاووس بن كيسان أشهر رجال اليمن فى هذه الفترة وقد ترجم له كل من عنى بأخبار الزهاد والاتقياء . ومما ذكروه عنه أنه كان عليه ضريبة يؤديها على أرضه فى كل عام فقيل له أن الوالى سيرفع عنك الضريبة فقال لهم وهل سيرفعها عن غيرى فقيل له لا فأبى ذلك فكان يؤديها كل سنة ومن أقواله الوعظية قوله محذراً من السلطان (لا تنزلنك حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجابه ولكن أنزلها عن باب مفتوح لك إلى يوم القيامة) ومن أقواله (الاسلام شجرة أصلها الشهادة وثمرها الورع ولا خير فى شجرة لا ثمر لها ولا خير فى إنسان لاورع له) . ويؤثر عن طاووس البعد عن المذاهب الطارئة كمذهب الخوارج والمعتزلة وغيرهما توفى سنة ١٠٦(٢)

ومن عباد اليمن وزهادها فى هذه الفترة . وهب بن منبه الذى كان من كبار التابعين أدرك جماعة من الصحابة ورحل إلى مكة فلقى هناك شهرة واسعة ومن أخلاقه التى تدل على علو طبقته فى الزهد والعبادة أنه جاءه رجل فقال له أنى

---

(١) ترجمته فى طبقات الخواص ص ١٠٧ .
(٢) انظر ترجمته فى تاريخ صنعاء ص ٣١٨ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٦٠ والخواص ص ٦١ وغيره .

سمعت فلانا يشتمك فغضب وقال لم يجد الشيطان رسولا الى غيرك . ويقال عنه أنه صلى الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة ومن أقواله (الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء ، توفى سنة ١٢٠[١] .

ويذكر صاحب تاريخ صنعاء جماعة من زهاد اليمن خلال القرنين الثانى والثالث منهم محمد بن بسطام الصنعانى كان زاهدا يعمل الخوص ويفطر على قرص شعير يخلط معه الرماد إذا عجن فيأكل من عمل يده ذلك القرص ويتصدق بما بقى من عمل يده[٢] .

فى القرن الخامس

فى القرن الخامس تطالعنا عدة أسماء من أعلام التصوف فى اليمن أكثرهم من المناطق المحاذية لناحية تهامه ومدينة تعز كالصوفى الجليل أبو محمد سود بن الكميت الذى كان سبب تحوله إلى التصوف حادثة وقعت له فمال إلى التصوف واعتزل الدنيا (وكانت الدنيا تأتيه من غير قصد وهو مطرح لها ومتخل عنها ولا يأكل إلا مع أصحابه فى المسجد توفى سنة ٤٣٦[٣] .

القرن السادس

أما فى القرن السادس فقد ظهر جماعة من الصوفية عرفوا بالفقه واشتهر شأنهم فى كلا المجالين فأنت تجد ترجماتهم فى طبقات الفقهاء كما تجدها فى الكتب التى أرخت للصوفيه ولا تفسير لهذه الظاهرة سوى أن التصوف ظل مندرجا فى

(١) له ترجمات فى عدة كتب منها الحلية لأبى نعيم ج ٤ ص ٢٣ وتاريخ صنعاء للرازى ص ٣٦٧ وصفة الصفوة لابن الجوزى ج ٢ ص ١٦٥ والخواص ص ١٦٣ .

(٢) الرازى : تاريخ صنعاء ص ٣٠٤ .

(٣) أنظر ترجمته فى الجندى والخزرجى والخواص .

العلوم الإسلامية الأخرى ولم تعرف له تميزا يذكر إلا عندما أصبح له مصلحة وشعاراته المتميز بها أصحابه عن سائر أهل المذاهب وذلك فى القرن السابع على الرغم من أن الصوفية فى خارج اليمن قد بدأوا ينفردون عمن سواهم منذ القرن الثالث كما رأينا ذلك فى العراق والشام ومصر ، وعلى كل فأمامى عدة أسماء من أعلام التصوف فى اليمن جمعت بين الفقه والتصوف من هؤلاء زيد بن عبد الله اليفاعى المتوفى سنة ٥١٤[١] ومنهم عبد الله بن يزيد القسيمى المتوفى ٥٢٦[٢] وعمرو بن عبد الله السرى[٣] المتوفى سنة ٥٥٠ هـ يصفه الشرجى بقوله الفقيه العالم الصالح الزاهد الخ . . . — ومن أشهر الصوفية فى هذا القرن، الصوفى الكبير أبى العباس أحمد بن أبى الخير الصياد[٤] ، كان فى بداية أمره رجلا عاميا من جملة عوام مدينة زبيد فبينما هو نائم فى بعض الأوقات إذ أتاه آت فقال قم ياصياد فصل ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى فى درجات التصوف وصحب الشيخ ابراهيم الفشلى وله أخبار كثيرة فى العبادة والزهد من ذلك ما ذكره الشرجى أنه حصلت له غيبة وهو ساجد فى بعض البرارى فاقام كذلك ساجدا لا يتحرك ولا يشعر بشىء فما أفاق الا وتلفت عينه إلى آخر ما ذكره عنه توفى سنة ٥٧٩ .

القرن السابع

فى هذا القرن نبغ جماعة من صوفية اليمن كان لهم الأثر الجيد فى إبراز التصوف وإظهار هويته من بين سائر الطوائف الأخرى فى المجتمع اليمنى وقد برز

(١) ترجمته فى بن سمره ص ١١٩ والجندى والخواص ص ١٢٢ والعقد الثمين ج ٤ ص ٤٨٠ .

(٢) الخواص ٧٦ .

(٣) الخواص ١٠٧ .

(٤) الخواص ١٧ والجندى والخزرجى وتاريخ ثغر ٤ ومرآة الجنان ج ٤ ص ٣٥٨ ولتلميذه ابراهيم بن بشار كتابا فى مناقبه .

في خلال هذه الفترة الصوفي الجليل علي بن عمر بن محمد الأهدل وهو أول المتصوفين من أهل هذا البيت الشهير بنوابغه[1] وقد كان جده الأول قد انتقل من العراق إلى اليمن واستقر بها أما حفيده هذا فقد كان له شأن كبير وقد عني بأخباره كثير من المؤرخين[2] ومن رجال هذا القرن من الصوفية عيسى بن إقبال المنار كان صاحب مقامات وكرامات كثيرة وله في الاصلاح الاجتماعي الشيء الكثير توفي سنة ٦٠٦[3] ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحكمي عرف بصاحب عواجه وقد رافقه في تصوفه الشيخ محمد بن حسين البجلي حتى عرفا بصاحبي عواجه . توفي سنة ٦١٧[4] .

وبقية أعلام هذا القرن من الصوفية هم :

— الصوفي ابراهيم بن علي الفشلي اشتغل في أول أمره بطلب العلم ثم تحول إلى التصوف فأثرت عنه كرامات وأقوال في التهذيب وعلى يديه نبغ الصوفي الكبير الشيخ أحمد الصياد توفي ٦١٣[5] .

---

(١) أنظر ما كتبناه حول هذه الأسرة في مجلة العرب العدد ١٦ لسنة ٦ ذي الحجة سنة ١٣٩٢ .

(٢) من هؤلاء حفيده محمد بن أحمد الأهدل المتوفى سنة ١٢٩٨ له كتاب بعنوان النهج الأعدل في ترجمة الشيخ علي الأهدل طبع في الهند سنة ١٢٨٧ ومنهم عبد الله المكي له كتاب في مناقبه مخطوط بجامعة الرياض وأنظر ترجمته في الجندي وطراز أعلام الزمن للخزرجي وتحفة الزمن للاهدل والخواص ص ٨٠ وغيره وعند الخزرجي أن وفاته سنة ٦٩٠ (أنظر العقود اللؤلؤية) ج ١ ص ٢٦٧ .

(٣) الخواص ١٠٩ وانظر ترجمته في الجندي وطراز أعلام الزمن وتحفة الزمن .

(٤) الخواص وانظر ترجمته في الجندي وطراز أعلام الزمن وتاريخ العلم وطبوط (مخطوط)

(٥) الخواص ص ٦ وانظر ترجمته في الكتب المشار إليها سابقاً .

— الشيخ جوهر بن عبد الله عاش بمدينة عدن وخلف شيخه سعد الحداد في مشيخة الصوفية وكان أميا متواضعا توفي سنة ٦٢٦[1] .

— الشيخ الصوفي الكبير أبو الغيث بن جميل ويلقب شمس الشموس كان أصله من الموالي وقد خرج مع رفقة له لقطع الطريق فوكله أحدهم أن يراقب قافلة قادمة فسمع هاتفا يقول له يا صاحب العين عليك العين فوقع هذا الكلام في نفسه وكف عن قطع الطريق وقصته هذه تشبه قصة الفضيل بن عياض ثم التحق بالشيخ علي بن أفلح وحكمه في التصوف وهو أشهر صوفية اليمن في ذلك الوقت وقد جمع أحد تلامذته كلامه في مجلد رغم أنه كان أميا لا يجيد القراءة ولا الكتابة يقول الشرجي عن هذا الكتاب (وهو مجموع في قدر مجلد لطيف وعندي نسخة منه) أما الاهدل فيشك في نسبته إليه توفي بن جميل سنة ٦٥١[2] .

— الصوفي الكبير أحمد بن علوان كان أحد أولاد رجال الدولة وتحول إلى طريق التصوف كتب تأثير حادثة عجيبة وقعت له وهو من كبار مشاهير الصوفية في اليمن وإتباعه لا يزالون إلى الآن توفي سنة ٦٥٥ وله مصنفات كثيرة وديوان شعر[3] .

أحمد بن الجعد الابيني عرف في تصوفه بكثرة الرياضة والعبادة توفي سنة ٦٩٠ تقريبا[4] .

---

(١) الخواص ٤٦ ومرآة الجنان ج ص ٣٤٧ وتاريخ ثغر عدن ٢٩ .

(٢) أنظر ترجمته في مرآة الجنان ج ٤ ص ١٣٦ والجندي (مخطوط) والعقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) الجندي (مخطوط) والعقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٦٠ والخواص ص ١٩ ومرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٥٧ والتصوف في تهامه ص ٦٩ .

(٤) الخواص ص ١ ، ٢ .

أبو العباس أحمد بن موسى بن عجيل يصفه الشرجي بقوله (القطب العارف) وأطنب فى ترجمته وإليه تنسب قرية بيت الفقيه لأنه كان من الصوفية والفقهاء وله مؤلفات فى الفقه توفى سنة ٦٩٦ وعند الخزرجي سنة ٦٩٠[1] .

وهؤلاء هم مشاهير القرن السابع الهجرى من صوفية اليمن وهناك غيرهم من أعلام هذا القرن سيجدهم الباحث فى كتاب الشرجى وغيره من كتب التراجم اليمنية .

القرن الثامن

ظهر فى هذا القرن جمع غفير من صوفية اليمن حيث اكتملت فيه كل مقومات التصوف ولم يعد الصوفية فى هذا القرن متأثرين بعادات زملائهم من الفقهاء بل منهم من لم يكتف بمجرد الزهد والعبادة فدخل فى مواجيد والهامات صوفية تقربه إلى الحقل الفلسفى الذى عرفناه عند الحلاج وابن عربى وإضرابهما. وسنكتفى هنا بذكر ستة أشخاص فقط لكثرة هؤلاء وتعدد طرقهم منهم .

– أحمد بن عمر الزيلعى العقيل عرف بسلطان العارفين واشتغل بالتصوف وله فيه مصنف بعنوان ثمرة الحقيقة ومرشد السالكين إلى أوضح طريقة[2] توفى سنة (٧٠٤)[3] .

– أبو بكر بن محمد بن يعقوب بن أبى حربة توفى سنة ٧١٤[4] .

(١) الجندى مخطوط والعقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٥٧ والخواص ص ١٣ .
(٢) مخطوط بالمكتبة الاصفية بالهند .
(٣) الجندى والعقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٦٥ والخواص ص ٢٢ .
(٤) تحفة الزمن والخواص ١٧٣ وطراز أعلام الزمن وتاريخ ثغر عدن ص ٣٠ .

– أبو عبد الله محمد بن عمر بن حشيبر كان من كبار المتصوفة فى اليمن وله مجموع كلام راق فى الحقائق الصوفية وصفه ابن الاهدل بقوله (فيه مقالات مفيدة وفى بعضها شيء من الشطح) وهو مجموع فى مجلد. توفى سنة ٧١٨[1] .

– على بن عبد الله الطواشى يصفه اليافعى بقوله أنه من الصوفية الذين جمعوا بين الحقيقة والشريعة (توسع الشرجى فى ترجمته) توفى سنة ٧٤٨[2].

– عبداقه بن اسعد اليافعى هو الصوفى اليمنى الوحيد الذى سارت شهرته خارج اليمن وانتشرت كتبه فى مكه ومصر والشام عاش فى عدن وانتقل إلى مكه مده ثم ارتحل إلى مصر والشام ووصفه ابن بطوطه فى رحلته توفى سنة ٧٦٨[3] .

– طلحه بن عيسى بن ابراهيم المتار يذكر له الشرجى كرامات كثيرة ويقول أن كراماته بحر لا ساحل له ومن مصنفاته فى التصوف كتاب (اللطائف فى اجتلا عروس المعارف) توفى سنة ٧٨[4] .

(١) كذا ضبط وفاته الشرجى وعند الخزرجى أنها سنة ٧٢٠ (وانظر ترجمته فى طراز أعلام الزمن وتحفة الزمن والخواص ١١٨) .
(٢) مرآة الجنان جـ ٤ ص ٣١٠ وتحفة الزمن والخواص ٤٣ .
(٣) له ترجمات فى عدة كتب منها رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١٤٧ وطبقات الشافعية السبكى جـ ٦ ص ٢٠٣ والاسنوى فى طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٧٢ والعقد الثمين جـ ٥ ص ١٠٤ والدرر الكامنة جـ ٢ ص ٢٤٣٧ وغربال الزمان للعامرى مخطوط والاهدل تحفة الزمن وتاريخ ثغر عدن ص ١٠٩ وطبقات الخواص ص ٠٦٧ والبدر الطالع جـ ١ ص ٣٨٢ والتصوف الاسلامى لزكى مبارك جـ ٢ ص ٢٣٠ وأفرده بالترجمة أبو بكر بن محمد بن سلامة الموزعى المتوفى سنة ٧٩٠ فى مؤلف بعنوان المسلك الارشد فى مناقب الشيخ عبداقه بن أسعد (انظر كشف الظنون جـ ٢ ص ١٨٤٥) .
(٤) طراز اعلام الزمان وتحفة الزمن والخواص ٦٢ .

ويمثل هـذا القرن نضوج التصوف فى اليمن واكتمال مذهبه النظرى والعمل .

فى القرن التاسع

وهذا القرن هو آخر صورة فى اكتمال الصوفية مذهبيهم بعد أن قوى نفوذ رجاله وأصبحوا يكونون سلطة لها نفوذها بجانب سلطة الدولة وسنكتفى هنا بالاشارة إلى بعض منهم .

— أبو بكر بن محمد السراج كان من كبار شعراء الصوفية له ديوان شعر مجموع توفى سنة ٨٠٠ هـ[١] .

— أبو بكر بن محمد بن حسان المضرى من الصوفية العمليين اضرب عن الدنيا واخذ يتكسب بعمل يده وله بعض الكرامات أوردها الشرجى فى كتابه توفى سنة ٨٠٢[٢] .

— اسماعيل بن ابى بكر الجبرتى المتوفى سنة ٨٠٦ كان شيخ الصوفيه فى عصره[٣] .

— أبو محمد عبدالله بن أبى بكر الناشرى المتوفى سنة ٨٢١ كان كثير العبادة والزهد[٤] .

— عبدالله بن عبد الرحمن بن عثمان المعترض صحب الصوفى أحمد

---

(١) الخواص ١٧٥ وديوانه مخطوط بحضرموت .
(٢) تحفة الزمن الخواص ١٧٦
(٣) سنعود الى ترجمته فى موضوع آخر من الكتاب
(٤) الخواص ص ٧٥ . الضوء اللامع ج ٥ س ٥٤

الردينى وكانت لهما كرامات شهيره أورد منهـا الشرجى فى كتابه توفى سنة (٨٣٠)[١] .

القرن العاشر

يمثل هذا القرن آخر مرحله بلغها التصوف اليمنى فى تطوره وبعد ذلك اخذت تطغى عليه العوامل المتناقضة من ازدهار وسقوط ولعل ابرز علامات ازدهاره تأتى فى اشخاص رجاله الذين برزوا فى هذه المرحله ومنهم جماعه من صوفية حضرموت التى سنجد التصوف قد نشط فيها خـلال هذه المرحله واخذت تواصل الحفاظ عليه حتى عصرنا الحديث ومن رجال هذه الفتره :

— الشيخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس . كان من اكابر الاولياء واشتهر بالكرم فكان يذبح فى سماطه فى كل يوم فى رمضان نحو ثلاثين كبشا وعندما توفى بلغت ديونه مائتى ألف دينار وكان يحسن اليه سلاطين الدوله الطاهرية وبعض امراء الصومال توفى سنة ٩١٤[٢] .

— معروف بن عبدالله با جمال عرف بتربية المريدين وكان له جاه عظيم وأوذى من قبل سلطان بلده لميل الناس اليه توفى سنة ٩٦٩[٣] .

---

(١) الخواص ص ٧٣
(٢) الف فى مناقبه الشيخ عبد الرحمن العيدروس المتوفى سنة ١١٩٣ كتابا فى مناقبه بعنوان (الفتح المبين بأنفاس العيدروس فخر الدين وترجمته فى المشرع الروى ج ٢ س ٣٤ وشرح العينية ص ٦٥٩
(٣) ألف فى مناقبه الشيخ محمد بن عبد الرحمن باجمال المتوفى سنة ١٠١٩ كتابا بعنوان مواهب البر الرؤوف فى مناقب الشيخ معروف مخطوط وانظر ترجمته فى كتاب النور السافر ص ٢٧٣ .

— الشيخ أبو بكر بن سالم له مشاركات فى علوم التصوف وقصده الناس للزيارة من أماكن بعيده توفى سنة ٩٩٢(١) .

فى القرون الاخيره

كثر الصوفيه بعد القرن العاشر واصبحنا نجدهم فى شتى طوائف المجتمع كما نجدهم فى المدينه والريف ولا أغالى إذا قلت أن نزعة التصوف تغلغلت حتى عند جمهور الفقهاء وغدا من المتعذر التمييز بين كل من ترسم بالفقه وسائر العلوم الاخرى ومن عرف بالتصوف ولعل ذلك يعود فى أساسه إلى عدم وجود التمييز بين تخصصات العلوم الاسلامية واتجاهاتها وهذا بدوره عائدا إلى ركود الثقافة فى تلك العصور وطغيان الجهل على الناس وعلى الرغم من هذه الكثره الطاغيه فسأكتفى بذكر شخصيتين من رجالات التصوف فى هذه القرون الاخيره .

أولهما : الصوفى الكبير حاتم بن أحمد الاهدل الذى غلب علية طابع التصوف مع تمكنه من عدة علوم وكان يقول الشعر الحمينى والفصيح وله ديوان شعر كبير توفى سنة ١٠١٣(٢) .

ثانيهما : عبدالله بن علوى الحداد من أهـــل حضر موت برع فى التصوف والكتابة على أسلوب الغزالى وله مؤلفات فى التصوف مطبوعة توفى سنة ١١٣٢(٣) .

---

(١) هناك اكثر من كتاب مستقل فى ترجمته لعل آخرها كتاب 'الجواهر فى مناقب تاج الأكابر لحفيده السيد عبد الله بن احمد الهدار والمطبوع فى القاهرة اخيرا

(٢) الف فى مناقبة الشيخ عبد القادر العيدروس كتابا فى مناقبة بعنوان (الروض الباسم من مناقب الشيخ حاتم .) مخطوط بالمكتب الهندى بلندن ٦٣٨ ل

(٣) وضع فى مناقبه كتابا بعنوان غاية القصد والمراد فى مناقب الشيخ عبد الله الحداد الشيخ محمد بن زين بن سميط مخطوط (انظر مراجع تاريخ اليمن ص ٢٣٦

التصوف فى تهامه

أغلب الذين عرفتهم اليمن من الصوفيه عاشوا فى تهامه حيث كانت هذه المنطقة من البلاد المحببة لهم فقد وجدوا فيها الأمن والهدوء مؤثرين العزله والعباده فى سواحلها وبعيدا عن ضجيج الحياه وقلاقل الحكام وقد كان أحد صوفيتهم — وهو الشيخ أحمد الصياد — (يثنى كثيرا على السواحل ويرى أنها مورد عبادا الله الصالحين)(١) .

التصوف فى الجبال

وإذا كان التصوف قد انتشر فى المناطق السهليه من اليمن فانه قد قل فى جباله حتى أصبح من الندرة بحيث يعد رجاله بالاصابع ولا سبب لذلك سوى أن بعض المذاهب التى عرفها اليمن لا ترحب بالتصوف على أعتبار أنه دخيل على الاسلام . وكان المذهب الزيدى بما عرف به من نظره عقلانيه تحررية قد أدان الصوفية فى كثير من شطحاتهم وشعاراتهم البعيده عن الاسلام وهو فى ذلك يتفق مع المذهب الحنبلى وقد ألمحنا فى فصل قادم إلى أن الائمه ما كانوا يرحبون بالتصوف لاعتبارات أشرنا اليها هناك .

فشكل هذا وذاك عاملين رئيسيين فى اضعاف التصوف عند أهل الجبال حتى أن بعض الصوفيه يرى انهم « لا يجوزون الاسرار والكرامات »(٢) . أما المقبلى فى القرن الحادى عشر فيرجع عدم انتشار التصوف (فى جبال اليمن إلى الامام القائم بها)(٣) .

---

(١) الخواص ص ١٨ .

(٢) يحيى بن المهدى : صله الاخوان (مخطوط)

(٣) المقبلى : العلم الشامخ ص ٣٨١ .

وإذا كان هذا هو حال الناحية الجبلية مع الصوفية لا يجب أن نطمع بوجود إعداد وفيرة منهم وكل من برز فيها لايتعدى سلوكه الطريقة السنية التى سار عليها زهاد المسلمين وعبادهم ولم يعرف عنهم أدنى ميل إلى التصوف الفلسفى كما هو الحال عند بعض صوفية التهايم والمناطق اليمنية السفلى وحضر موت .

على أن المجدد الحقيقى للتصوف فى الجبال هو الشيخ الجليل إبراهيم بن أحمد الكينعى الذى جمع فى تصوفه بين الزهد والعباده وقد وصفه الشوكانى بقوله (انعزل عن الناس وانجمع عن المخالطة لهم وعكف على معالجة قلبه عن مرض حب الدنيا وصام الابد ألا العيدين والتشريق وأحياء ليله بالقيام لمناجاه ربه) توفى سنة ٧٩٣ [1] .

وعلى يد هذا الشيخ الكبير انتشر التصوف فى مناطق صعده وصنعاء وذمار وغيرها وقد ذكر مؤرخ سيرته جماعة من مريديه فى تلك المناطق أمثال .

— قاسم بن عمر الجويلى . خرج من ماله وأهله ولبس التصوف وجاهد نفسه وكان من أحب الناس إلى الكينعى وهو أحد أوصيائه من بعده [2] .

— يحى بن حمزة البزم الصنعانى يقول جامع سيرة الكينعى كان فاضلا عابدا زاهدا ترك الدنيا مع الغنى واقتدى بشيخه إبراهيم الكينعى فى لباسه وزاده [3] .

— حسن بن موسى بن حسن من هجرة الأرطان ترك زينة الدنيا واقتدى

---

(١) أنظر ترجمته فى كتاب (صلة الاخوان فى حلية بركة أهل الزمان (مخطوط) لتلميذه يحيى بن المهدى ومطلع البدور والواف بوفيات الأعيان الضمدى — والبدر الطالع ج ١ ص ٤ وأئمة اليمن لزبارة ص ٢٧٨ ونشر العرف ج ١ ص ٢٨٧ وغير هذه الـكتب .

(٢) يحيى بن المهدى : صلة الاخوان (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق : (مخطوط) .

— بشيخه إبراهيم الكينعى وكان يحى الليل ويصوم النهار وكان زميلا لشيخه فى الحضر والسفر .

« التصوف فى حضر موت »

من المؤرخين من يرجع أول بادرة التصوف فى حضر موت إلى شخص عاش فى القرن السابع الهجرى هو الشيخ محمد بن على الشهير بالفقيه المقدم المتوفى سنة ٦٥٣ [1] .

ويقول الشلى شارحا هذه النقطة (أن أهـــل حضر موت كانوا مشتغلين بالعلوم الفقهيه وجمع الأحاديث النبويه ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية ولا من يكشف إصطلاحاتهم السنية فاظهر الفقيه المقدم وعلومها ونشر فى تلك النواحى أعلامها فأخذ عنه الجم الغفير وتخرج به العدد الكبير [2] وقد شهد عصر الفقيه المقدم نشاطا كبيرا فى التصوف حتى أن أحد صوفية العالم الإسلامى المشاهير وهو الشيخ أبو مدين المغربى قد بعث إلى حضر موت مندوبا من قبله ينشر الطريقة المغربية فى تلك الاصقاع [2] وهذا وحده كافيا على مكانة حضر موت عند الصوفية فى ذلك الوقت .

ومن طريق الفقيه المقدم انتشر التصوف فى حضر موت وقد نبغ على يديه

---

(١) أنظر ترجمته فى بعض الـكتب المعاصرة ككتاب تاريخ حضرموت الحامد ج ٢ وكتاب ادوار التاريخ الحضرمى للشاطرى ج ٢ ص ٩١ وشرح العينية ص ٦٠٢ والفكر والثقافة فى التاريخ الحضرمى لباوزير ص ١٢٦ ومن الفداى الشلى فى المشروع الروى ج٢ ص ١٧٢ والشيخ على بن ابى بـكر السقاف المتوفى سنة ٧٩٥ كـتابا فى مناقبة بعنوان الأنموذج اللطيف بآخر كتاب البرقة المشيقة ص ٢٠١ — ٢٢٦

(١) الشلى : المشروع الروى فى مناقب بنى علوى ج

(٢) انظر الشاطرى ادوار التاريخ الحضرمى

جمع كبير من الصوفية أمثال الشيخ عبد الله بن محمد باعباد[1] المتوفى سنة ٦٨٧ هـ وعبد الله بن إبراهيم باقشير وسعيد بن عمر بالحاف وسعد بن عبد الله اكدر وغيرهم كثير وظل جبل الصوفية فى حضر موت يتتابع حتى عصرنا الحديث حيث عرفنا منهم جماعة من الاقطاب أمثال عيد روس بن عمر الحبشى المتوفى سنة ١٣١٤ هـ وعلى بن محمد الحبشى ١٣٣٤ هـ وعلوى بن عبد الرحمن بن شهاب وغيرهم كثير وعلى الرغم من كثرة وجود الاعلام والمشاهير فى الفقه والتصوف فانه لم يحدث هناك شقاق كبير بين (النزعتين الفقهيه والصوفية رغم ماينهما من خلاف فقد ظلتا على وئام فى حضر موت بل أن كثيرا من فقهاء حضر موت اعتنقوا الارآء الصوفية المعتدلة دون أن يروا فيها مايصطدم مع نصوص ظاهر الشريعة[2] .

«شعائر الصوفية»

تولية المشيخه الصوفية

بعد اكتمال التصوف فى اليمن قواعدة الاساسية وقيامة كمذهب مستقل رأيناه يسن لنفسه نظما وتقاليد خاصة به لايزاحمه فيها أحد من إتباع الطوائف الاخرى ومنذ القرن السابع والتصوف فى اليمن يحاول أن ينظم نفسه فى هيكل دقيق يتكون من الأصل والفروع بحيث لايتعدى كل فرد فيه مكانه المخصص له فالشيخ الذى هو أعلى درجة فى هذا التنظيم يليه الخواص من جلسائه ثم سائر المريدين من الطلبة والاتباع .

---

(٣) انظر ترجمته فى طبقات الخواص ص ٧٠ ولا حد احفاده كتاب فى مناقبه بعنوان المنهج القويم (مخطوط)

(٤) سعيد باوزير : الفكر والثقافة فى التاريخ الحضرمى ص ١٠٧

على أن تولى المشيخة الصوفية لايأتى فى أكثر الأحيان اعتباطا أو بدافع ذاتى وإنما يكون غالبا بترشيح يقوم به كبار الصوفية فى ذلك الوقت للشيخ المرشح للمشيخة وقد ذكر الزجاجى صورة من تلك الطريقة التى تتبع فى ترشيح الشيخ — وهى فى الغالب لاترتبط بكيفيه واحدة — من ذلك أنه عندما حان تولية الشيخ إسماعيل الجبرتى مشيخة الصوفية وذلك بعد أن كثر إتباعه واشتهر امره اجتمع الصوفى الكبير رضى الدين أبو بكر سلامة الموزعى بالشيخ ابى بكر بن محمد السراج صاحب قريه السلامة فأشار عليه بأن ينصب الجبرتى فقبل منه ذلك وانتظر حتى جاء وقت السماع فقام فى تلامذته وألبسه عمامته وقال لهم قد نصبته عليكم شيخا (١) .

وهناك صور أخرى لتولى المشيخات الصوفية وربما أوعز بعض الشيوخ لأحد تلامذته بتولى المشيخة من بعده وقد يقترن ذلك بحادثة غريبة كما هو الحال فى تولى الصوفى جوهر بن عبد الله المتوفى سنة ٦٢٦ هـ لمشيخة الصوفية فقد ذكر كل من ترجم له أن شيخه الولى العلامة سعد الحداد قد أوصى بتولى المشيخة بعد وفاته إلا أنه قيد ذلك بشرط عجيب هو أنه سينزل طائر يقع على رأس من يأخذ هذا المنصب فاتفق أن نزل هذا الطائر على الشيخ جوهر (فقام إليه الفقراء ليقعدوه موضع المشيخة فبكى وقال أين أنا من هذا أنا رجل عامى لا أصلح لذلك فقالوا قد أقامك الحق فى هذا المقام فقال إن كان ولابد فأمهلونى ثلاثة أيام أسعى فى رد حقوق الناس ثم جلس بعد ذلك فى منصب المشيخة)[2].

وقد يعين الشيخ من يخلفه وهو لا يزال حياً فقد ذكر الشيخ أحمد الرداد أن الجبرتى عينه فى المشيخة وهو على قيد الحياة يقول (إن سيدى إسماعيل

---

(١) الزجاجى : وهداية السالك (مخطوط) .

(٢) الشرجى طبقات الخواص ص ٤٦ .

الجبرتي قد نصبني شيخا وأذن لي في الالباس والنصب وذلك في ليلة السبت ٢٢ شعبان سنة ٨٠٢ بمسجده المعروف بزبيد بمحضر جمع من الشيوخ والفقراء والمريدين(١) فيكون تنصيب ابن الرداد للمشيخة قبل وفاة شيخه بأربع سنوات .

وفي الغالب يكون تولي المشيخة وراثيا فيخلف الابن والده وهكذا على أن يقوم الابن بكافة الأعمال التي يمارسها الأب وهؤلاء هم الذين تسموا فيما بعد بالمناصب فقد ذكر الجندي والأهدل عدد كبير من هذه المنصبات كنصبة بيت سود بن الكميت(٢) ومنصب بني المكدش(٣) ومنصب بني الحكم(٤) ومن أشهر المناصب الصوفية في اليمن والتي لا تزال قائمة إلى الآن منصب بني الأهدل .

وقد احتفظ لنا الأدب اليمني بصور من احتفالات الشعراء في تولي أحد الصوفية ذلك المنصب الوراثي كقول الشاعر ابن زنقل مهنئاً الشيخ أحمد بن عمر الأهدل بتولي منصب المشيخة الأهدلية وكان قد احتفل الصـــوفية بتوليه هذا المنصب بأن عملوا حفلة سماع كبرى يقول ابن زنقل(٥) :

صب بكاظمة شجته أربع | فدموعه في الخد منه أربع
راعته في الغادين رائعة النوى | ففؤاده لمـــا تأوه مروع
يامسلمين العيس تنفح في البرى | حينا وحينا في الأزمة تنزع
قولوا لأبناء الزوايا بلغوا | من لم يكن الآن حاضر يسمع

(١) أبو بكر العيدروس الجزء اللطيف في التحكيم الشريف ص ٢٢ .
(٢) الجندي : السلوك مخطوط .
(٣) و (٤) : الأهدل تحفة الزمن مخطوط .
(٥) أنظر ترجمته في طراز أعلام الزمن للخزرجي ، وهو محمد بن ابراهيم بن زنقل مدح جماعة من مشائخ العرب ويقول لم أقف على ديوانه .

أهل الطريقة والحقيقة أجمعوا | عزموا في الرأي الصواب واجمعوا
أن ينصبوا أملاك المناصب تبعاً | إذ ليس في كل المناصب تبع
ويتوجوه بتاج أهدل جده | إذ ذاك بالورع الصريح مرصع
ويبرقعوه ببرقع من علمه | لنناظر العلماء وهو مبرقع

الزوايا والربط

على أن المشيخة مقر خاص عرف عند الصوفية باسم (الرباط) أو (الزاوية) ، يكون ماوى للمريدين ومن يريد أداء بعض العبادات وسنجد هذه الربط قد كثرت في القرن التاسع وما بعده منها :

١ — زاوية الشيخ أبي الغيث بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ بلغ عدد من فيها من المريدين مائة طالب(١) .

٢ — زاوية الشيخ علي الأهدل (القرن السابع) بمجموع من فيها نحو ٥٠٠ طالب(٢) .

٣ — رباط الشيخ علي بن أفلح (القرن السابع) في مدينة زبيد(٣) .

٤ — زاوية الشيخ مفتاح بن عبد الله الأسدي (القرن السابع) مجموع من فيها ٣٠٠ طالب(٤) .

٥ — رباط الشيخ محمد بن عمر النهاري المتوفى سنة ٧٤٧ : يقع في ناحية ريمه(٥) ،

(١) التصوف في تهامه ص ٣٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٢ .
(٣) الشرجي : طبقات الخواص ص ٨٧ .
(٤) وطيوط . تارية المعلم وطيوط (مخطوط) وطبقات الخواص ص ١٥٦
(٥) الشرجي : طبقات الخواص ص ١٢٦

٦ — رباط الشيخ اسماعيل الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ : يقع في مدينة عدن وقد ذكر تلميذه الزجاجي جماعة من الذين تولوا مشيخته منهم الشيخ الصديق الزيلعي والشيخ أحمد بن محمد المعيدي(١) .

٧ — زاوية الشيخ أبي بكر بن محمد الصائقي المتوفى ٨٤٥ بمدينة زبيد ويقول السرجي أنه أدرك نقيب الفقراء (الطلبة) بها وكان خيراً صالحاً اسمه محمد المكي(٢) .

٨ — زاوية الشيخ أبي بكر بن محمد بن سلامة المتوفى سنة ٨٥٤ له زاوية بمدينة موزع(٣) . وغير هذه الزوايا والأربطة كثير جداً(٤) . ولعل أشهرها في عصرنا الحديث رباط مدينة تريم(٥) ورباط البيضاء تحت إشراف السيد محمد العطار .

« خرقة التصوف »

ومن مهام الشيخ الرئيسية بجانب الإشراف على أوقاف الزاوية وتسيير أمورها القيام بإلباس الخرقة الصوفية والتحكيم لمن أراد ذلك وتنظيم حفلات السماع الذي يقيمه المريدون في الزاوية أو في بعض المساجد وسنقف هنا عند هذين الأمرين :

---

(١) الزجاجي : هداية السالك والغواص ص ٤٠

(٢) المصدر السابق ١٨٣

(٣) المصدر السابق ص ١٢٦

(٤) للتوسع في معرفة هذه الزوايا والربط يراجع كتابي تحفة الزمن للأهدل وطبقات الخواص .

(٥) وضع في تاريخه أحد الباحثين المعاصرين وهو الباحث عبد الله بن حسن بلفقيه كتاباً بعنوان تذكرة الحافظ في تاريخ الرباط (مطبوع)

فإلباس الخرقة الصوفية من العادات الأصيلة لصوفية اليمن وغيرهم وهم يرجعون سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم(١) ويعتبرونها من البدايات الأولية لطالب التصوف ومن الفقهاء من أنكر عليهم سندها إلى الرسول إلا أن الصوفية يقولون في الرد عليهم أن لبس الخرقة إذا فرضنا عدم صحة نسبته إلى الرسول فانه (ليس بحرام ولا مكروه وأن البدعة في حقيقتها ليست بمستنكرة على الإطلاق فقد أحدث الفقهاء لبس الطيلسان على العمامة وقالوا ليس بحرام ولا مكروه)(٢).

وقد أفرد الخرقة الصوفية كثير من صوفية اليمن فوضعوا في سندها وتاريخها مؤلفات عديدة(٣) مما يدل على مكانتها عندهم ؛ وهم يفتخرون على من سواهم بأن بعض الفقهاء المجتهدين أمثالهم قد شارك في لبس الخرقة كالفقيه المحدث

---

(١) عيدروس الحبشي : عقود اللآل ص ٢٤٠

(٢) العيدروس : الجزوء اللطيف ص ٨

(٣) من الكتب التي وضعها صوفية اليمن في الخرقة الصوفية وسندها وآدابها الكتب الآتية :

١ — أحمد بن أبي بكر الرداد المتوفى ٨٢١ : تلخيص القواعد الوفية في أصل حكم خرقة الصوفية (إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون لإسماعيل باشا)

٢ — علي بن أبي بكر السقاف المتوفى ٨٩٥ البرقة المشيقة في ذكر الخرقة الأنيقة طبع في القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .

٣ — أبو بكر بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة ٩١٤ : الجزوء اللطيف في التحكيم الشريف طبع في القاهرة سنة ١٣٥٦هـ.

ووضع العلامة اللغوي محمد مرتضى الزبيدي المتوفى ١٢٠٥ مؤلفاً كبيراً لشيخه عبدالرحمن العيدروس المتوفى ١١٩٣ في الخرقة الصوفية عند أهل اليمن بعنوان (النفحة القدسية بواسطة البضعة العيدروسية) .

برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوى المتوفى سنة ٧٥٢ والفقيه نفيس الدين سليمان إبراهيم العلوى المتوفى سنة ٨٢٥ ﻫ والفقيه محمد بن عبد الرحمن السراج وغيرهم(١) .

وعند الصوفية أن لبس الخرقة دليل على المتابعة لرسول الله (ص)(٢) ومنهم من قال أنها ترمز إلى الرابطة بين الشيخ وتلميذه(٣) وقد قسموا الخرق من حيث مدلولها الصوفى إلى ثلاثة أنواع .

الأول : خرقة الارادة لايتعاطاه إلا من له إرادة صادقة(٤) .

الثانية : خرقة التبرك وهى مشاع للخاص والعام يلبسها كل من أراد التبرك بالصوفية(٥) .

الثالثة : خرقة التشبه تلبس بقصد التشبه بالصوفية وحكمها حكم النوع الثانى(٦) .

وهكذا يمضى الصوفية فى فلسفة خرقتهم وهى فى الغالب تتكون من طاقيه الشيخ أو قميصه أو العمامة أو الطيلسان أو غير ذلك (فيجوز أن يسمى جميع الملبوسات من الازار والقميص والاردية والجباب والعمائم والاقبية ومافوق ذلك ومادون كلها خرق(٥) .

ويكون الباس الشيخ لمريده فى حفل بهيج يقيمه الصوفية له فقد ذكر العيدروس راويا عن نفسه كيفية الباسه الخرقه الصوفية بأن ذلك كان (بمحضر

---

(١) المرجاجى : هداية السالك (مخطوط)
(٢) الأهدل النفس اليمانى فى أجازة القضاة بنى الشوكانى (مخطوط)
(٣) العيدروس : الجزء اللطيف ص ٥ .
(٤) ، (٥) ، (٦) : المصدر السابق ١١ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٧ .

عظيم من كافة المشايخ والفقراء والعلماء وكان ذلك بتاريخ شهر رجب سنة ٨٦٥ ﻫ)(١) .

ويتبع الالباس عادة قيام الشيخ بتحكيم التلميذ وتلقينه الذكر فاما التحكيم فهو عبارة عن أشعار التلميذ لشيخه بموافقته على التلمذة عليه وقد شبهه بعضهم بالمبايعة عند تولى الخلافة (٢) وهناك صور كثيرة لهذا التحكيم عند الصوفية منها أن (يضع المتحكم يده فى يد الشيخ ثم يقرأ الفاتحة وآية من آيات الرجاء الواردة فى القرآن ويقول الشيخ بعد ذلك رضيت بى شيخا ومؤدبا يدعوك إلى ما دعاه الله ورسوله فيقول التلميذ رضيت)(٣) ثم يقرأ عليه بعض الآيات والادعية .

(أما التلقين فهو أن يضع الشيخ يده فى يد المريد ويأمره بسماع الذكر معه مع تغميض العينين ثم يقول بعده . ثم يقول الشيخ بعد الاستغفار والدعاء لا إله إلا الله ثلاثا فيقول المريد كما قال الشيخ)(٤) .

« السماع عند صوفية اليمن »

كان السماع فى أول الامر عبارة عن تجمعات الصوفية تتلى خلالها مجموعة من الاذكار والاوراد يلقيها الطلبة بصوت واحد مرتل ثم أخذ يتطور قليلا فأدخل عليه القصائد المنظومة ثم استعملت بعض الآلات الموسيقية كالطبل والناى إلى أن تحول إلى غناء وموسيقى ورقص .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) عيدروس الحبشى : عقود اللال ص ٩٩ .

وقد أقام صوفية اليمن السماع منذ القرن السابع ومن أوائلهم الذين مارسوا هذا النوع من الموسيقى الصوفى الكبير أبو الغيث بن جميل(١) والشيخ أحمد بن علوان(٢) ومحمد بن أبى بكر العواجى(٣) وكان الشيخ محمد بن عيسى الزيلعى يعمل السماع (فى كل قرية من قرى وادى مور وسردد(٤) وفى أماكن أخرى وربما ظل يردد بيت شعر واحد طيلة السماع كله.

أما فى القرن الثامن فقد انتعش السماع على يد الشيخ إسماعيل بن أبى بكر الجبرتى بعد أن أدخل عليه أشياء جديدة وربما أقام السماع فى ليله بأكملها(٥). وبحضر سماعه فى بعض الأحيان سلاطين الدولة الرسولية أمثال الملك المجاهد والملك الأفضل والملك الأشرف(٦) ويقول الاهدل أن الجبرتى أدخل على السماع بعض الآلات الموسيقية كالدف والشبابة والعود وربما حصل فى بعض ليالى السماع (من الاعلان بالزينة وخروج النساء وحضورهن الأمر العظيم)(٧).

وكان الجبرتى اول من اقام السماع للأسر احتفالا بمناسباتهم العائلية(٨) وذلك بقصد إدخال السرور عليهم حتى ان السماع اصبح بعد ذلك نوعا من الترفيه وكادت ان تختفى قداسته الصوفية التى يهدف من ورائها ذكر الله والخشية

(١) اليافعى: روض الرياحين ص ٢٧٨.
(٢) و (٣) المصدر السابق (نفس الصفحة).
(٤) الزجاجى: هداية السالك (مخطوط).
(٥) المصدر السابق (مخطوط).
(٦) المصدر السابق (مخطوط).
(٧) الاهدل تحفة الزمن (مخطوط).
(٨) الزجاجى: المصدر السابق (مخطوط).

له ومع ذلك فان الجبرتى هو القائل (ان السماع حرام على من لا يعرف معانيه(١) ويقول (السماع لمن فتح عليه فى التصوف والا فهو حرام على كل شخص(٢) وقد حبب إلى نفوس تلامذته تذوق السماع والمشاركة فى حفلاته فكان له أنصاره الكثيرون. ومنهم من يذوب فيه وينفعل به حتى يؤدى به ذلك إلى الوفاه كما يذكرون عن أحد تلامذة الشيخ الجبرتى وهو الصوفى محمد بن نافع (وكان قد حضر سماعا للفقراء فلما غنى المغنى فى السماع دخله شىء من الوجد فقام من موضعه وقعد عند المغنى ساعة ثم رمى بنفسه على المغنى واعتنقه ساعة ثم فترت قواه ومات)(٣).

ومنهم من يرمى بنفسه من مكان مرتفع أثناء السماع فلا يصاب بأذى كالشيخ عبد الله بن محمد العفيف المعروف بالمسن(٤) وغيرهما كثير فيدل كل ذلك على الأثر القوى الذى تركه السماع فى نفوس تلامذة الشيخ إسماعيل الجبرتى.

«المؤثرات الخارجية فى تكوين التصوف باليمن»

سنجد كل تلك التقاليد والعادات التى مارسها صوفية اليمن من الأمور المتبعه عند سائر الطوائف الصوفية فى أنحاء العالم الإسلامى ولم يشذوا عنهم فى قليل أو كثير.

ومع ذلك فاننا إذا أردنا أن نقيم التصوف فى اليمن وجهة خاصة به فسنجدها فى قيام بعض الطرق المحلية التى نشأت فيه كالطريقة الاهدلية والطريقة الجبرتية والطريقة الحدادية والعيدروسية(٥) وغيرهما إلا أن كل هذه الطرق لا تعدوا أن

(١) و (٢) الشرجى: طبقات الخواص ١٨.
(٣) الخزرجى: العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٤٨.
(٤) الشرجى: طبقات الخواص ص ١٠٦.
(٥) أورد هذه الأسماء الزبيدى فى كتابه (النفحة القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية) وانظر أيضا كتاب (السمط المجيد) لاحمد بن محمد القشاشى طبع فى الهند.

تكون أسماء على غير مسميات إذا الكل من هذه الطرق يغترف من المنبع العام للتصوف الاسلامى عموما ولم نجد أحدا منهم يشق لنفسه منهجا خاصا به .

وحتى أولئك الذين وضعوا لأنفسهم طرقا مستقلة نجدهم يعترفون بتبعيتهم للفرق الصوفية الكبرى التى شهدتها حواضر العالم الاسلامى فى بغداد ومصر والمغرب وهذه الفرق سنحصرها فى ستة طرق صوفية كان لها الأثر الكبير على التصوف فى اليمن .

١ — الطريقة القادرية : وتنسب إلى الشيخ الكبير عبد القادر بن موسى الجيلانى المتوفى ٥٦١ وقد تأثر بهذه الطريقة جمع كبير من صوفية اليمن كالشيخ إبراهيم بن محمد باهرمز(١) والشيخ أحمد بن يحيى المساوى(٢) المتوفى سنة ٨٤١ هـ والشيخ إسماعيل الجبرتى(٣) والشيخ أبى بكر بن أبى حربه والشيخ عبد الله بن عقيل باعباد(٤) والشيخ أحمد بن الجعد (٥) وغيرهم كثير جدا ولعل أول لقاء لليمنيين بالطريقة القادرية يعود إلى عصر الشيخ عبد القادر الجيلانى حيث اجتمع به اثنان من صوفية اليمن هما الشيخ على بن عبد الرحمن الحداد والشيخ عبد الله الأسدى فأما الأول فقد التقى به صدفة عند الكعبة المشرفة (فلبس منه الخرقة الصوفية عند مقام إبراهيم الخليل سنة ٥٦١ (٦) وأما الثانى : فانه لما سمع أن الشيخ عبد القادر الجيلانى سيصل من العراق إلى مكة لأداء فريضة الحج توجه خصيصا لمقابلته (فوافاه بعرفات فأخذ عنه كتب اليد وسمع عليه شيئا من علم الحديث النبوى)(٧) ويقول الشرجى أن (غالب مشايخ اليمن يرجعون فى

(١)و(٢) و(٣) و(٤)و(٥) : العيدروس : الجزء اللطيف ص ٢٠ — ٢١ .
(٦) الشرجى : طبقات الخواص ٨٤ .
(٧) المصدر السابق ص ٧١ .

نسبة الخرقة الصوفية إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى)(١) .

٢ — الطريقة الشاذلية : نسبة إلى الشيخ أبى الحسن على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ انتقلت هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشيخ على بن عمر بن دعسين الشاذلى المتوفى سنة ٨٢١(٢) الذى كان من أوائل المؤسسين لها فى اليمن وكان قد رحل إلى بيت المقدس ومصر فاجتمع فيها بالشيخ ناصر الدين بن بنت الميلق سنة ٧٩٧ أحد أعيان الشاذلية فى مصر ويقال أنه لما علم بقدومه إلى مصر من بيت المقدس أمر بعض أصحابه (بلقائه فى حفل مهيب)(٣) ثم رجع إلى اليمن ونشر بها الطريقة الشاذلية ، وبعض المؤرخين ينسب إلى هذا الشيخ اكتشاف القات والقهوة(٤) مستدلا فى ذلك برحلته إلى الحبشه إلا أن هذا لم يحقق عنه وكل المصادر القديمة التى ترجمت له اكتفت بالإشارة إلى تصرفه ونقله الطريقة الشاذليه إلى اليمن .

٣ — الطريقة المغربية تنتسب إلى الشيخ شعيب بن الحسن الشهير بأبى مدين (توفى سنة ٥٩٤ ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه بعث مندوبا من ناحيته إلى حضر موت . ومنذ ذلك التاريخ وأتباع هذه الطريقة يتكاثرون فى اليمن ولعل آخرهم هو الشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن المتوفى سنة ١٠٥٢ الذى شرح كتاب

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .
(٢) كذا عند الشرجى وأما السخاوى فيضبط وفاته سنة ٨٢٨ ؛ انظر ترجمته فى تاريخ البريهى وطبقات الخواص ١٠٠ والضوء اللامع ج٥ص ٢٦٣ . وراحة الجليس لعلى بن نور الدين المسكى ج ٢ص ١٦٣ .
(٣) البريهى : التاريخ (مخطوط) .
(٤) انظر مثلا كتاب (إيناس الصفوة بانفاس القهوة) للعيدروس (مخطوط) وترويح الاوقات فى المفاخرة بين القهوة والقات للاديب أحمد الملمى ص ٣٣ .

الشيخ أبى مدين (أنس الوحيد) فى مؤلف بعنوان البيان والمزيد(١) .

٤ – الطريقة الرفاعية : مؤسسها الشيخ أحمد بن على الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨ ﻫ انتقلت الطريقة الرفاعية إلى اليمن بواسطة الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسى المتوفى سنة ٦٨٨ ﻫ الذى سيأتى ذكره فى أحداث النزاع بين الفقهاء والصوفية وكان هذا الشيخ قد أدرك أحد أحفاد الشيخ أحمد الرفاعى وهو نجم الدين الأخضر فأخذ عنه الخرقة الرفاعية وتربى بين يديه تربية صوفية (فلما استكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الخرقة الرفاعية هنالك)(٢) وفى اليمن اجتمع القدسى ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سعيد الهمدانى وغيره ويقول الشرجى أنه (تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن فى اليمن وابتنى عدة ربط بعد أن شهر الخرقه الرفاعية وانتشرت عنه انتشارا كليا لاسيما فى مخلاف جعفر)(٣) أما العيدروس(٤) فيعدد بعض من رجالات الخرقة الرفاعية فى اليمن بعد عصر القدسى وهم إسماعيل الجبرتى ومحمد بن أبى بكر الضجاعى وإبراهيم العلوى المتوفى سنة ٧٥٢ ﻫ .

٥ – الطريقة السهروردية : نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردى المتوفى سنة ٦٣٢ ﻫ . لم يعرف شىء من آثار هذه الطريقة فى اليمن سوى الخرقه المنسوبه إليها فقد أشار العيدروس(٥) إلى بعض إتباعها وهما الجبرتى والعلوى وقد سبقت الإشارة إليهما .

٦ – الطريقة النقشبنديه : من الطرق الصوفية المتأخرة وقد نشرها فى اليمن

---

(١) طبع فى مصر سنة ١٣٠٠ ﻫ .
(٢) و(٣) الشرجى طبقات الخواص ص ١٠٧ .
(٤) العيدروس الجزء اللطيف ص ٢٣ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٣ .

الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندى النقشبندى المتوفى سنة ١٠٥٠ وأحد القادمين فأخذ عنه هذه الطريقة بعض الصوفية كالشيخ أحمد بن محمد بن عجيل المتوفى سنة ١٠٧٤(١) وابنه موسى بن أحمد وممن تلقى عنه هذه الطريقة أيضا الشيخ عبد الباقى بن الزين المزجاجى المتوفى سنة ١٠٧٤ يقول عنه المحبى (أخذ طريق النقشبندية عن الشيخ تاج الدين الهندى حتى صار خليفته من بعده فى هذه الطريقة(٢) .

وإذا تجاوزنا هذا النوع من التأثير الخارجى على التصوف فى اليمن — والذى ينحصر غالبا فى الطرق الصوفية — فسنجد الوفود الصوفية قد قامت هى أيضا بدور فعال فى بلورة التصوف فى هذه البلاد وذلك بادخال بعض التيارات الجديدة التى لم يكن له عهد بها من قبل كاستحداث النزعة الفلسفية وقيام التنظيمات الخاصة بالصوفية إلى غير ذلك من أمور غريبة سرعان ما تقبلها صوفية اليمن .

ولعل أهم الوفادات بالنسبة للتصوف اليمنى هى وفادة ذى النون المصرى الصوفى الشهير وقد أشار إلى رحلته هذه بعض الباحثين من القدامى والمحدثين أمثال عبد الله بن اسعد اليافعى الذى يذكر حكاية وقعت لذى النون المصرى تفيد دخوله إلى اليمن(٣) . ومنهم الباحث المعاصر الأستاذ أحمد أمين الذى يحدد دخول ذو النون إلى البلاد بنحو سنة ٢٣٧ ﻫ(٤) ولانعرف ماهو الهدف من مجىء هذا الصوفى الكبير إلى اليمن وأغلب الظن أنه دخلها بقصد السياحة والتفرج على ملكوت الله كما هو معروف عن هذا الصوفى فى زيارته للاماكن الأخرى

---

(١) المحبى : خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٤٦ .
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٣ .
(٣) اليافعى : روض الرياحين ص ٤٣ .
(٤) أحمد أمين : فجر الاسلام .

ولا أعتقد أنه كان يرمي بدخوله اليمن (التبشير لنشر مذهبه الصوفي)[1] كما يظن بعض المعاصرين إذ العصر الذي أدركه الشيخ لم يكن يعرف نشوء الطرق الصوفية .

ثم نطوي الزمان طيا ونقف عند القرن الثاني عشر الهجري حيث تطالعنا فيه عدة وفادات صوفية هامة لم ينحصر أثرها في التصوف وحده بل تعدته إلى تغيير المجرى التاريخي للبلاد ففي هذا القرن وجدنا بعض الشخصيات الصوفية الجريئة تقتحم مجهول اليمن وتبشر بالدعوة إلى التصوف متجاهلة في ذلك سخط الأئمة على الصوفية فقد ذكر الجبرتي عن أحد القادمين : إلى اليمن وهو الصوفي المصري على بن عمر القناوي المتوفي سنة ١١٩٨ بأنه (دخل صنعاء واجتمع بإمامها وذهب إلى كوكبان وانتظم حاله وراج أمره وتلقن منه الطريقة جماعة فاستمال بحسن مذاكرته ومداراته طائفة من الزيدية مع أنهم لا يعرفون الذكر — هكذا يقول الجبرتي — ولا يقولون بطرق الصوفية فلم يزل بهم حتى احبوه وأقاموا حلق الذكر عندهم وأكرموه)[2] وكان هذا الرجل قد حقق هدفه في تمهيد التصوف إلى أهل صنعاء وكوكبان على الرغم من عدم موافقة اتباع المذهب الزيدي لهذه النحلة . والحق يقال أن المعارضة للتصوف بدأت تختفي بعد هذا التاريخ في عموم اليمن وعلى الأخص القسم الجبلي الذي عرف بمعارضته للصوفية . كما أشرنا سابقا .

ولقي الصوفية من أهل اليمن ترحيبا كبيرا فكثرت الوفادات والزيارات من سائر أنحاء العالم الاسلامي ولعل أهم هذه الوفادات زيادة الصوفي المغربي

---

(١) البعلي : التصوف في تهامه ص ١٥ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الاثار في التراجم والاخبار (نقلا عن نشر العرف لمؤرخ زباره ج ٢ ص ٢٥٧) وترجم له أيضا الاهدل في النفس اليماني (مخطوط) .

الكبير الشيخ أحمد بن ادريس المتوفي ١٢٥٣[1] واستقراره في اليمن ثم قيام بعض احفاده من بعده بتأسيس دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الادريسية وقد لعبت دورا كبيرا في التاريخ اليمني .

سقوط التصوف

أسفر التصوف عن شخصية قوية كان لها الأثر الكبير في تغيير مجرى الحياة الثقافية في اليمن وتحويلها من تعاليم حرفية تعنى بدرس النصوص التقليدية إلى علوم تعتمد على المواجيد والأذواق الخاصة ببعض أفراده وقد كان رعيلهم الأول من الصوفية العمليين الذين لم يمنعهم زهدهم ونسكهم عن الاقتراب من الناس والدخول في همومه فانخرطوا في سلك المجتمع وكانوا المعبرين عن آماله وطموحه أمام السلطة الحاكمة واسمع منهم أصواتاً قوية كصوت الشيخ أحمد ابن علوان الذي يقول السلطان المظفر الرسولي .

عار عليك قصورات مشيدة والرعية دور كلها دمن[2]

وهكذا يكون الصوفية في اليمن هم الصوت الوحيد المعبر عن الأمة بعيداً عن التزلف والريا إلا أنهم سرعان ما أخذوا ينحدرون إلى الهاوية بعد أن خلفهم جيل من الصوفية كان همه الأول التنعم بالملاذ والنفاق للحكام ومنذ ذلك التاريخ وعلامات الانحطاط تأخذ في التتابع .

فأول هذه العلامات غلو الصوفية في تقديس شيوخهم وإسباغ هالات العظمة عليهم فنسبوا إليهم العديد من الكرامات التي لا يقدر على فعلها إلا رب

---

(١) انظر خبر قدومه الى اليمن في النفس اليماني للاهدل (مخطوط) وكتاب دور الحور الحور العين للطف الله جحاف (مخطوط) ونيل الوطر ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) العقود اللؤلوية ج ١ ص ١٦١ (وانظر رسالته التي بعثها الى السلطان في هذا الصدد نشرتها مجلة الحكمة الصادرة بعدن) .

الأرباب(١) ومنهم من لم يكتف بإضفاء تلك الكرامات إلى شيخه فى حياته فأخذ يتقرب إلى ضريحه بعد موته ويعتبره من الزارات المقدسة حتى أدى به الأمر إلى الاستغاثة به وطلب نزول المطر عند قبره والنحر له إلى غير ذلك(٢) .

أما متأخروهم فقد كانوا وصمة عار على الصوفية وقد حولوا تصوفهم إلى نوع الشعوذة(٣) جعلوه وسيلة التكسب الخاطئ فقاموا بأعمال يتبرى منها صوفيتهم الأوائل .

تاريخ الصوفية السياسى

الملاحظ على تاريخ التصوف أنه لا ينتعش إلا فى ظل الدول السنية إذ لا مجال له فى المذاهب الأخرى حيث تجد شخصية الصوفى تزاحم من سواها من الزعامات الدينية الأخرى فى مذاهب الشيعة والمعتزلة ومذهب الخوارج وقد ذكر آدم متز أن المعتزلة ينكرون بالكلية أن يختص بعض المسلمين بالولاية من دون بعض ويرون أن جميع الدين يطيعون الله ويقومون بأحكام الدين هم أولياء الله)(٤) .

ولا غرابة إذا كان الصوفية فى عهد الدول السنية أهمية لانها قامت على زعامات تفصل بين الدولة والدين وليس للحاكم التدخل فى الشؤون الدينية

---

(١) أنظر على سبيل المثال ما أورده الشرجى فى كتابه من كرامات كثيرة لصوفية اليمن
(٢) حسين بن مهدى النعمى : معارج الألباب ص ٥٦ وما بعدها .
(٣) يذكر المؤرخ يحي بن الحسين حادثة طريفة شاهدها بنفسه سنة ١٠٤٨ لاحد دراويش الصوفية فى تلك الفترة يقول (وفى هذه السنة رأيت فقيراً من فقراء الشيخ أحمد بن علوان يأكل حنشا من أوله حتى بلغ الى ثلثه أو ربعه وطرح باقيه وهو حال أكله يذكر الله) انظر بهجة الزمن مخطوط بقلم المؤلف .
(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٤٨.

من زاوية سلطته العليا البعيدة عن كثير من تفاصيل الدين وغالبا ما جعل الملوك من الصوفية مصدر بركة وإمداد خفى لحكمهم .

تاريخ الصوفية فى عهد بنى أمية

إذن فعلينا ونحن نؤرخ للصوفية أن نتجه صوب الدول السنية التى حكمت اليمن، فلهم معها شأن كبير، ومنذ الدولة الأموية والصوفية يقومون بكل شعاراتهم فى حرية تامة ، وقد كان لصوفية اليمن مواقف لا تنسى تجاه استبداد الولاة الأمويين . . ويذكرون لهم فى ذلك حكايات كثيرة . من ذلك أن عامل صنعاء من جهة الدولة الأموية محمد بن يوسف الثقفى أراد أن يستميل إلى جانبه الزاهد الجليل طاووس بن كيسان فبعث إليه بهدية قدرها سبعمائة دينار (وقال للرسول: إن أخذها منك فانى سأحسن إليك ، فخرج الرسول حتى قدم على طاووس وهو بالجند فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة بعثها إليك الأمير . فقال: مالى بها حاجة . فداراه على أخذها فأبى حتى غافل طاووس فرمى بها إلى كوة فى بيته وذهب إلى الأمير وقال له أن طاووس أخذها)(١) .

وكان طاووس يعيد صلاته إذا صلى خلف الأمير أيوب أحد أمراء صنعاء من قبل الأمويين .

(ولما رحل إلى مكة قيل له أن أحد الأمراء قدم إليها وأن من فضله وإحسانه كذا وكذا فهلا قدمت عليه؟ فقال لهم: مالى به من حاجة فقالوا : ما تخافه ؟ فقال : ليس الأمر كما تظنون)(٢) .

وهذا الموقف المضاد من قبل الصوفية يفسر لنا السخط العام الذى لقيته الدولة الأموية . على أن هذه الدولة الأموية لم تتعرض لأحد من

---

(٢) الرازى : تاريخ صنعاء تحقيق حسين العمرى وزميله ص ٣٢٠ .
(١) الرازى : تاريخ صنعاء ص ٣٢٤ .

الصوفية بأذى نظرا لأنهم كانوا فى دور التعبد والزهد ولم يدخلوا تيارات الفلسفة الصوفية بعد ، ومثل ذلك الموقف المعاكس من قبل الصوفية ما يذكر عن أحدهم أنه لما (رحل الحجاج إلى مكة سمع ملبيا يلبي حول البيت رافعا صوته بالتلبية فقال على بالرجل فأتى به فقال الحجاج ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين فقال ليس عن هذا سألتك ؛ قال : عم سألت قال : سألتك عن البلد — قال من أهل اليمن فقال : له كيف تركت محمد بن يوسف - يعنى أخاه - قال تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا. قال ليس عن هذا سألتك قال عم سألت قال سألتك عن سيرته قال تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق فقال الحجاج ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانته منى فقال الرجل أتراه بمكانته منك أعز منى بمكانى من الله تبارك وتعالى وأنا وافد إلى بيته . فسكت الحجاج ولم يحسن جوابا وانصرف الرجل من غير إذن)(٢)

الدول المستقلة والتصوف

وكمصداق لما قلنا من أن الدول الشيعية لا تولى التصوف أهمية نجد اسم التصوف يكاد يختفى تماما من تاريخ الدول المستقلة التى حكمت اليمن بعد انقراض الوصاية عليها كدولة الصليحية (٤٣٩ — ٥٣٥) وبنو حاتم (٤٩٢- ٥٦٩) والدولة الزريعية (٤٧٠ — ٥٦٩) وكذلك دولة ابن مهدى الذى كان (من غلاة المعتزلة فلم يمكن الصوفية فى نظامه الصارم مجال)(٤) إلا أن عمارة يذكر عن نشأة هذا الرجل فيقول (كان والده من قرية العنبر من سواحل زبيد وكان رجلا صالحا سليم القلب ونشأ ولده على بن مهدى على طريقة أبيه فى العزلة والتنسك بالصلاح ثم حاج وزار ولقى حاج العراق وعلماءها ووعاظها

(١) اليافعى : روض الرياحين ص ٤٠ ج ٢ .
(٢) العقيل : التصوف فى تهامة ص ١٩ .

وتطلع من معارفهم وعاد إلى اليمن فاعتزل الناس وأظهر الوعظ وإطلاق التحذير من صحبة العسكر وكان فصيحا قائما بالوعظ والتفسير وطريقة الصوفية أنه قيام وكان يتحدث بشىء من أحوال المستقبلات فيصدق فكان ذلك من أقوى عدده فى استمالة قلوب الناس)(١)

إذن فعلى بن مهدى هو نفسه من فئة الصوفية . ولكن لا نجد من يضعه فى عداد من الذين أرخوا الصوفية كما أنه لم يقم بشىء يذكر يوحى بميله إلى التصوف ولا نستبعد أن يكون هذا الرجل من جملة الثوار الذين يحملون من صبغة التصوف ذريعة يتذرعون بها للقيام بثورات سياسية .

وقد اكتشف أبو العلاء المعرى (القرن الرابع الهجرى) هذه الظاهرة فى ثوار اليمن فقال (كلهم يزعم أنه القائم المنتظر فلا يعدم جباية من مال يصل به إلى خسيس الآمال)(٤) ويقول(ما زال اليمن منذ كان معدنا للمتكسبين بالتدين والمحتالين على السحت بالتزين)(٩) .

وقد ظهر من شاكلة ابن مهدى الكثير من الثوار الذين ترسموا بالتصوف وليس من شأن هذا البحث دراسة هؤلاء لبعدهم عن مضمون التصوف الأساسى وهو الروحية والبعد عن الأغراض الدنيوية إلا أننا سنقف عند شخصية واحدة من هؤلاء هى شخصية الثائر مرغم الصوفى الذى كان لسلوكه الثورى شأن كبير لم يقف عند شخصه وحده بل تعداه إلى من تسمى بالتصوف :

وقد قام بثورته ضد الأيوبيين نحو سنة ٦١٩ هـ فى بلاد الحقل وزبيد وجبل بنى مسلم المسمى سحمر فدعا الناس إلى نفسه وأخبرهم أنه داع لإمام حق

(١) عمارة : المفيد ص ٢٤٣
(٢) المعرى : رسالة الغفران ص ٣٠٣ .
(٣) المعرى : المصدر السابق .

فانضاف إليه من الناس الجمع الغفير فسار إليه عسكر من جهة الأمير نور الدين ومعه راشد مظفر بن المرش فقال مرغم لمن معه إن قاتلونا غدا هزمناهم وقتلنا راشد بن مظفر فكان الامر كما قال[1] وقد ازداد أصحابه فيه عقيدة .

واستفحل أمر مرغم فجعل رجال الدولة الايوبية فى قلق شديد حتى كان من نتيجة ذلك أن قامت هذه الدولة بعمل معاد[2] للصوفية فيذكرون (ان الملك المسعود كره الصوفية بعد عوده إلى اليمن وعاقب من لبس المرقعات وتشبه بهذه الفرقة حتى قيل انه خرج يوما من الجند يريد الصيد فرأى الشيخ فرج النوبى وعليه لباس الصوفية فغضب وقال هذا يخالف امرى ثم أشار إلى صاحب الفيل ان يطلقه عليه)[3] .

---

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٤١١ .

(٢) الاستاذ المقبل رأى مخالف لما ذهبنا اليه فهو يرى ان الصوفية انتعشت خلال حكم الأيوبيين (وانطلق مجال نشاط الصوفية ورجالها ولم يكن للدولة مذهب دينى خاص او مبدأ سياسى محروس تفرض الأول وتحاول تحقيق الثانى لذلك رأت فى رجال التصوف أداة لتوطيد سلطتها فاهتمت باحترام زعمائها ولمعفائهم من الضرائب وعدم التعرض لاتباعهم او الاعتداء على زواياهم وحلقات الذكر وريع النذور والفتوح التى كانت تنهال عليهم وينفقها زعماء التصوف على اعانة المريدين ووفود الزوار وطالبى التبرك) (الخلاف السليمانى ج ١ ق ١ ص ١٨٥) .

هذا هو رأى المقبل الذى يلاحظ عليه فيه انه لم يعتمد على مصدر يدعمه ولعلما أتى هـذا الكلام استطرادا اثناء حديثه عن الاقطاعيات فى عهد الأيوبيين ولم نجده يشير الى مرجع قديم فى الهامش . ويظل ما ذهبنا اليه هو الصواب لاعتمادنا على اصول قديمة فى هذا الشأن ومع ذلك فانى اسلم للاستاذ رأيه فى ان الدولة الأيوبية عاملت الصوفية معاملة حسنة كبقية الدول السنية التى حكمت اليمن الا ان ذلك كان فى مبتدأ أمرهم وقبل ان يقوم مرغم الصوفى بثورته .

(٣) الجندى : السلوك (مخطوط)

وكان من أمر هذا التصرف أن وجد عليهم الصوفية واصبحت كل تصرفاتهم موضع ريبة وشك عند الصوفية ، يقال أنه لما أرادت الدولة الايوبية أن تؤمم المتلكات فى اليمن بعد تراثها من أصحابها (اجتمع جماعة من الصوفية فاتفق رأيهم على أن يدخلوا مسجدا ولا يخرجوا منه إلا بعد انقضاء حاجتهم - فى إزالة الدولة الايوبية - فدخلوا مسجدا وأقاموا فيه ثلاثة أيام يصومون النهار ويقيمون الليل فلما كان فى اليوم الثالث أو الرابع خرج أحدهم - ويقال أنه الشيخ دحل - وقت السحر ونادى بصوت عال يا سلطان السماء أكف سلطان الارض)[1] .

تاريخ الصوفية فى عهد بنى رسول

تلك صفحة من تاريخهم مع الدول التى حكمت اليمن قبل الرسوليين إلا أن تاريخهم الحقيقى يبتدىء بهذه الدولة الفتية التى كان من دأبها إحياء النهضات العلمية فى اليمن عامة أيا كان نوعها فهم شجعوا شتى طوائف العلماء من العباد والباحثين ولا غرابة فى ذلك فقد تشبع حكام بنى رسول بالعلم حتى لا تعدم فيهم من يؤلف ويصنف ويناقش العلماء فى مسائل البحث .

ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسوليين يبتدىء ببداية هذه الدول بل قبل البداية بسنوات عدة ، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن على بن رسول (حكمه من ٦٢٩—٦٤٧هـ) وبين الفقيه الصوفى محمد بن أبى بكر الحكمى المتوفى سنة ٦١٧ وصاحبه الصوفى محمد بن حسين البجلى المتوفى سنة ٦٢١ هـ وهما من كبار الصوفية فى اليمن . ويقال انهما اللذان قويا عزمه فى الاستيلاء على الحكم[2] بعد مشاهدتهما تضعضع الدولة الايوبية وتنافس أمرائها فيما بينهم على الحكم . ونحن إذا أدركنا أن موت

---

(١) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن

(٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٧ .

... كان قبل قيام الرسوليين بالحكم بنحو عشر سنوات ندرك مدى العلاقة
الثابتة بين الصوفية ودولة بني رسول والمؤرخ الباحث المعاصر الأستاذ محمد بن
أحمد العقيلي يشرح هذه المسألة بقوله [illegible]
[illegible] المتطلع لملك اليمن عمر بن علي الرسولي وهما قد تنبآ له
بالملك [illegible]
وكانا عند تقدم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج على المزارع يكتبان [illegible]
أراضي أهل [illegible] الفقيهين ليمسح أراضيهما وأخذ الضرائب عنهما
عفا عنهما الأمير عمر بن علي الرسولي وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشر ألف دينار
وأدركا بلا شك مطمعه البعيد فأخذا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمن له
ويشيعان ذلك [illegible] لتهيئة النفوس والعقول [illegible] كلمتهما
[illegible] بالترقب (١).
وإذن فالدولة الرسولية تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها [illegible]
واعتبرت [illegible]

في عهد الملك المظفر

إذا عرفنا ميل الملك المنصور إلى الصوفية فلا علينا أن نستبعد إذا علمنا أنه
الملك المظفر يوسف بن عمر (حكمه من ٦٤٧ إلى ٦٩٤) نفس المسلك الذي
اتبعه والده فقد ذكر عنه ممن ترجم له شدة ميله إلى الصوفية واعتقاده فيهم حتى
أنه كان يرحل إليهم بنفسه ويحتال في الوصول إليهم بأساليب غريبة كتلك
الحادثة التي يرويها الشرجي بقوله (إن مما يحقق الظفر صدق حال الشيخ أحمد
ابن محمد [illegible] الضبعي وصلاحه سأل القاضي أسعد بن مسلم أن يجمع بينه وبين
الضبعي وكان السلطان إذ ذاك في الجند فقال له القاضي إن علم بذلك لا يوافق

(١) العقيلي : التصوف في تهامة ص ٣٢ .

ولكني أحتال بوالدي من حيث لا يشعر فاتفق أن الفقيه أحمد الضبعي وصل من
بلده [illegible] الصلاة في الجمعة فأرسل القاضي أحمد إلى الديوان [illegible]
بوصوله [illegible] فقعد دهليز البستان ولا ترك عنده أحدا من الجند
والحراس ففعل السلطان ذلك . ثم إن القاضي خرج والفقيه بعد الصلاة يتماشيان
نحو بلد الفقيه وهي قريبة من [illegible] طريقهما على باب البستان الذي فيه
السلطان فلما صار [illegible] قال القاضي للفقيه [illegible]
[illegible] فوجد السلطان [illegible] إلى الفقيه
[illegible] (١).

ومثل هذه الحكاية لا تحوجنا إلى دليل آخر على اعتقاد المظفر في الصوفية
وميله إليهم وهو الذي نشأ على حبهم منذ عهد والده فكان يرحل مع والده إلى
الصوفي الكبير إبراهيم بن علي الفشلي (وربما قرأ عليه شيئا من كتب الحديث)(٢)
وحينما تولى الملك أعفى الصوفي إبراهيم بن الحسن الشيباني من خراج أرضه
وأرض أهله(٣) وهذا الصوفي هو الذي قال ذات مرة بعد أن ضرب على كتفه
(أبشر أن الملك لك ولذريتك لا لأسد الدين ولا فخر الدين يعني ابني عمه .
وكان المظفر يخاف أن ينازعاه في الملك بعد وفاة والده)(٤).

[illegible] بلغ الاحترام بالملك المظفر إلى أنه يولي أحد الصوفية القضاء العام وهو الفقيه
الصوفي إسماعيل بن محمد الحضرمي (المتوفى سنة ٦٧٦ هـ) [illegible]
الصوفي [illegible] المظفر [illegible] (في

(١) الشرجي: طبقات الخواص ٢٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٨ .
(٤) المصدر السابق ص ٨ .

شقف من خوف . يا يوسف كثر شاكوك وقل شاكروك فإما عدلت وإلا انفصلت)(١) انظر كيف بلغ الإدلال بالصوفية على الملك المظفر إلى درجة أنهم يطلبون إزاحته عن الملك وهذا يدل على تسامح هذا الملك ورحابة صدره .

في عهد المجاهد

وتمضي العلاقات بين الصوفية وبني رسول في هدوء لا يعكر صفوها شيء من حوادث الدولة الكثيرة التقلبات حتى لم يكد يأتي عهد المجاهد (حكمه ٧٢١-٧٦٤ هـ) ومن تلاه من الملوك : إلا ويعود شأن الصوفية في الظهور وتجتز دولتهم الروحية بعد سلطة بني رسول مباشرة ففي عهد هذا الملك توسع الصوفية في إظهار شعاراتهم وعقد السماعات في أكثر مساجد زبيد دون أي اعتراض من قبل الدولة . وقد ذكر المزجاجي في معرض كلامه الذي يذكر به ابن المقري محاسن الصوفية واهتمام الدولة الرسولية بهم — أن الملك المجاهد (كان يعتقد في الصوفي الكبير إسماعيل الجبرتي ويحسن الظن به وقد يصل مختفياً في زي غريب هو وبعض أصحابه إلى مجلس الجبرتي في الليل في مسجد ابن عبد الملك)(٢) وعندما رحل إلى مكة وأخذ إلى مصر من جهة الدولة المملوكية في قصة شهيرة في كتب التاريخ ، ثم عاد إلى اليمن كان أول ما استفسر عنه هو عن جماعة الصوفية يقول المزجاجي (فلما غاب غيبته المعروفة إلى الديار المصرية ومن الله سبحانه بعد ذلك برجوعه إلى بلاد اليمن كان عند نزوله بساحل زبيد اجتمع بوالي زبيد وهو يومئذ الأمير بن أبي الهيجاء فكان أول ما سأل عنه أن قال عاد ذاك الجبرتي هو وأصحابه على حالهم تلك فقال الوالي نعم وأزيد وأحسن .)(٣) .

(١) المصدر السابق ص ٣٤ .
(٢) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط)
(٣) المصدر السابق .

في عهد الأفضل

كانت ولايته بعد وفاة والده المجاهد سنة ٧٦٤ هـ وله مع الصوفية علاقة حسنة فقد (كان يرسل إلى الشيخ إسماعيل الجبرتي بعض أصحابه يسأل له الدعاء منه ولما مر الجبرتي المذكور على مدينة تعز عمل الأفضل لأصحابه وليمة كبيرة أقاموا خلالها السماع فحضره جماعة من مشائخ البلاد وكبرائها ولما أراد الانصراف أعطاه الإنعامات والهدايا هو وأصحابه)(١) .

في عهد الاشراف

أما الملك الأشرف فقد عهد منه الصوفية كل خير ورعاية . يقول المزجاجي مخاطباً المقري (أما في دولة مولانا المرحوم الملك الأشرف فلا حاجة إلى شرح ما كان يعتقده في سيدي إسماعيل الجبرتي وأصحابه ومحبته لهم وكثر إنعامه وإحسانه إليهم وعمل السماعات لهم فهذا شيء تعلمونه وتحققونه غير خاف عليكم ولا على أحد من الناس وشرح ذلك يطول)(٢) .

في عهد الناصر

وهذا الملك هو آخر ملوك الدولة الرسولية الكبار الذين حفظوا لها المهابة والاستقرار واستطاعوا أن يوطدوا الأمن في البلاد ومن بعده أخذ نجم الدولة في الأفول وخلف من بعده خلف لم يستطيعوا مجاراة أسلافهم العظام فتركوا الدولة نهباً للطامعين . يقول المزجاجي وهو يصور علاقة جماعة الصوفية مع هذا الملك (أما في هذه الدولة السعيدة دولة الملك الناصر فما أحتاج الى شرح ما أنت عالمه من محبة مولانا لسيدي الشيخ اسماعيل الجبرتي وحسن اعتقاده له وكثرة إنعامه

(١) المصدر السابق (مخطوط) .
(٢) المصدر السابق (مخطوط) .

وإحسانه عليه وعلى أولاده وأصحابه، وعلوم السماع برحابه الشريفة بإشارته العلية)(١) .

وربما يتضح لنا أن العلاقات بين الصوفية والدولة الرسولية كانت حسنة للغاية حتى إن هذا المسلك سيكون بعد ذلك تقليداً متبعاً عند كل الدول السنية التي حكمت اليمن فلا يكاد يظهر حاكم في اليمن إلا وله حاشية من الأولياء والزهاد يخدم الدعاء له واستمالة قلوب العامة إليه جاعلا كل منهم ينقب البلاد من وضع نفوس وسخط من قبل العلماء المتمسكين. يقول ابن الجوزي في نقد صوفية زمانه (كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا الآن أصدقاء لهم)(٢) كذلك لاحظ تلميذهم ابن الأهدل هذه العادة فقال (ومن عادة هذه الطائفة التحبب إلى الدولة وإيراد الأحاديث والروايات في فضائلهم حتى يجعلوا السلطان الجائر من الأبطال وربما ألقوا في سمعه أن له درجة التحكيم والتفويض فيما فعله بلا حرج ولذا تقدم بكد يبلغ إنكار المنكر من قديم الزمان أحد من الملوك وذلك من مكرهم)(٣) وكانت هذه من جملة ما نقد به الفقهاء الصوفية كما سيتضح لنا فيما بعد .

الدولة الطاهرية والصوفية

وكما سار بنو رسول في معاملة الصوفية سيرا حسناً كذلك نجد الملوك من بني طاهر — وهم في أكثر الأحيان يقتفون آثار من سبقهم من سلاطين آل

---

(١) المصدر السابق (مخطوطة) .

(٢) ابن الجوزي : تلبيس إبليس .

(٣) الأهدل : كشف الغطاء .

(٤) ومن هذا القبيل تقرب هذا السلطان إلى الصوفي محمد بن عمر القولكي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ =

رسول — فهذا الملك عامر بن عبد الوهاب الطاهري يقرب(١) إليه الصوفي الكبير أبا بكر بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة ٩١٤ هـ ويمده بالأموال والخلع الباهظة الثمن وقد كتب له في رسالة (يطلب منه الدعاء بأن يمكنه الله من فتح حصن وصاب)(٢) وكان هذا الصوفي (قد بشر السلطان بفتح بلد يافع ودثينه وجحن وغيرها)(٣) .

وقصائده الكثيرة في هذا السلطان تعطينا دلالة أكيدة على مدى ارتباط الصوفية بهذه الدولة ، من ذلك قوله في قصيدة طويلة :

يا من رقى في الملك أعلى رتبة	وبجده سامي على الشهب
وعطاؤه عم البرايا كلها	وجوده يزري بوبل السحب
ما حاتم ما جعفر في جوده	ما حيدر ما عنتر في الضرب
كم قلعة عيطا فتحها عنوة	كم هامة قد قدها بالقضب(٤)

الصوفية والحكم العثماني

سيذكر التاريخ للصوفية مقاومتهم للغزاة الذين دخلوا البلاد ، فكما رأيناهم يقومون بثورتهم العارمة ضد الأيوبيين في شخص مرغم الصوفي ، وذلك بعد خروجهم عن القاعدة الشرعية التي جاءوا من أجلها . رأيناهم أيضا يتفضون في وجه الأتراك الذين دخلوا البلاد وقد أحدثوا فيها من المفاسد ما جعل العقلاء يدعون إلى طردهم وتطهير الأرض منهم ! ولعل الباعث الرئيسي في مقاومة الصوفية لهم ذلك التذمر الشعبي الذي عم الأوساط تجاه الدولة العثمانية وهو

= وقد بعث إليه (بخلعة نفيسة) انظر النور السافر ص ١٥٦ .

(١) العيدروس : ديوان محجة السالك ص ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٥ .

يعود إلى أسباب تتعلق بسلوك هؤلاء، وبأمور أخرى خرجوا فيها عن القاعدة التى
دعا إليها ديننا الحنيف، وقد أجملها القبلى فى القرن الحادى عشر بقوله (كانت الاتراك
قد عاثت فى اليمن وفعلوا الافاعيل بنفوسهم أولا من الجور والفجور وبالناس
ثانيا من الفتك ونهب الأموال وغير ذلك (١) ولا غرابة بعد كل هذا أن أقام
الصوفية بمقاومتهم ضد الاتراك وهم الذين جندوا أنفسهم لمراعاة الفضيلة فقد
ذكر أهل التاريخ ظهور جماعة من الثوار الذين وقفوا فى وجه الاتراك وأغلبهم
من أهل الجبال كذلك الثائر الذى ظهر فى بلاد آنس نحو سنة ٩٨٦ ولقب نفسه
منصور اليمن وتبعه ناس كثير من الانصار تمكن بهم من طرد عامل الباشا
مراد (٢) .

وما زال الشقاق يقوى بينهم حتى آخر مراحلهم فى اليمن حيث ذكر الواسعى
قيام أحد الصوفية بثورة فى نواحى تهامة سنة ١٢٠٠ هـ وقد وصفه بأنه (رجل
كان يدعى السحر والمعرفة بعلم الكيميا استطاع أن يجمع حوله العامة من أهالى
تهامة وبخاصة من قبيلة خولان الثائرة ودعاهم إلى مناوأة الحكم العثمانى فى اليمن.
وقد وجه الاتراك قوة عسكرية استطاعت أن تجبر هذا الرجل على الهروب
وتفرق أتباعه (٣) .

أما قبل هذا التاريخ فستجد الأمير التركى فانصوه حينما طلب من أهل مدينة
بيت الفقيه تحصيل مبلغ كبير من المال اعترضه فى هذا المسلك الصوفى أحمد بن
جعفر وقال له أن هذا المبلغ لا يمكن تحصيله لأن الناس متفرقون فى الجبال.
فما كان من هذا الأمير إلا أن قتله احتجاجا على قوله ثم أراد أن يقوم بحملة

---

(١) القبلى : العلم الشامخ ص ٣٢٢

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الامانى ص ٧٥٦ .

(٣) فاروق أباظة : الحكم العثمانى فى اليمن ص ١٠٩ .

أخرى ضد الصوفية لابادتهم فيقال أن للصوفى الكبير أبو بكر بن مقبول الزيلعى
المتوفى سنة ١٠٤٢ هـ دعا عليه بقوله (اللهم شتت شمله وفرق جمعه) (١) .

وقد كانت بداية أمر الاتراك فى اليمن تبشر بعلاقات حسنة بينهم والصوفية
وخاصة حينما أظهروا نية طيبة نحوها بدليل تلك الرؤيا التى رآها القائد التركى
صفر للصوفى ابن أبى بكر بن عبد الله العيدروس وهو يبشره بفتح اليمن (٢) ،
وكعمل الوالى حسن باشا بتجديد عمارة ضريح الصوفى أحمد بن علوان فى
تعز (٣) وقد مال إليهم الصوفية من أهل الجنوب لاسباب مذهبية .

لولا أن الجن قد انقلب عليهم بعد ذلك عند ثورة اليمن عليهم وخروجهم
من الطريق السوى كما أسلفنا .

« الائمة والصوفية »

تاريخ الصوفية مع أئمة اليمن نوع آخر من العلاقات المتذبذبة بين الحرب
والسلم وإن كان يغلب عليها النوع الاول كما سيتضح لنا فيما بعد .

ويبتدى تاريخهم مع الائمة منذ أدرك الامام المهدى أحمد بن الحسين —
(حكمه من سنة ٦٤٦ إلى ٦٥٦) — تلك الشعبية الطاغية لهؤلاء الصوفية
فقد أدرك ببصيرته الثاقبة أنها لا شك ستؤثر على مركزه السياسى فى المجتمع
اليمنى الذى يعتمد فى أكثر الأحيان على النفوذ الروحى . وقد أصبح
يزاحمه فيه جماعة الصوفية. فلما رأى هذه الشعبية حاول أولا أن يستميل رجالها
إلى جانبه وقد كتب إلى الصوفى الكبير أبى الغيث بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ هـ
رسالة صدرها بالآية الكريمة (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا

---

(١) المحبى : خلاصة الاثر ج ١ ص ٩٨

(٢) النهروالى : البرق اليمانى ص ٢٥٧

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الامانى ص ٧٠٦

وبينكم الآية)[1] ثم قال فيها (ياشيخ القصد الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والسلام)[2] ويقول الجندى فى تعليقه على رسالة الإمام المهدى تلك (أنه متى مال الشيخ أبو الغيث مع الامام فاهل تهامه مائلون معه)[3] .

ولا جدال فى الغرض السياسى من هذه الرسالة ولو أنها بعثت إلى رجل غير أبو الغيث لاعتبرها تدعيما لمركزه الروحى وخاصة أنها من إمام مثل المهدى وقد خصه بها من دون غيره ولكن ليس مثل هذا الإغراء مما يندفع نحوه الشيخ أبو الغيث لنستمع إليه فى رده على رسالة الامام السابقة الذكر يقول (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الحمد لله فالق الإصباح ومرسل نسيم الرياح إلى فسحة مبدأ عالم الاشباح والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه الكرام . أما بعد فقد وصلنا كتاب السيد الشريف يدعونا لإجابته ولعمرى إنها طريق سلكها الأولون وأقبل عليها الأكثرون غير أنا نقرأ منذ سمعنا قوله تعالى (له دعوة الحق) لم يبق فيها متسع لإجابة الخلق فليس لاحد منا أن يشهر سيفه على نفسه ولا أن يفرط فى يومه بعد أمسه فليعلم السيد قلة فراغنا لما رام وليبسط العذر والسلام)[4] .

وهكذا اعتذر الشيخ أبو الغيث بأسلوب متبع عند جماعته من الصوفية بعد أن وضع نفسه فى حل من أى انتماء لهذا الامام .

---

(1) الآية ١٠٤ سورة آل عمران

(2) الجندى : السلوك (مخطوط)

(3) المصدر السابق

(4) المصدر السابق (مخطوط) وانظر هذه الرسالة فى مرآة الجنان اليافعى ج ٤ ص ١٣٦ والعقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٨ وقد اثبتناها كاملة هنا لاهميتها .

وقد كان هذا الموقف - موقف التحاشى عن الائمة - علامه رئيسية انتهجها الصوفية إلى وجهة الدول السنية ورأيناهم ينبذون ما سواهم حتى أن موقفهم هذا يفسر لنا سر تجمع الصوفية السهلية وبعدهم عن الجبال الخاضعة لنفوذ الأئمة ويذكرون فى هذا الصدد أنه (لما قوى أمر الإمام عبد الله بن حمزة أو أحد الائمة - نزل الشيخ أبو الغيث إلى تهامة)[1] وقد كتب إلى الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمى يقول (لقد عزمت على النقلة من بلاد اليمن (الجبال) من أجل ظهور الفتن فهل توافقنى على ذلك فكتب إليه الفقيه يقول إنى كثير العيال والأهل والأقارب ولا يمكننى الانتقال بهم ولا يمكننى أن انتقل واتركهم ولكن على أن أحمى جهتى وعليك أن تحمى جهتك فقال الشيخ صدق الفقيه فاتفق أن قتل الإمام أو أنه مات عقب ذلك)[2] .

وظل العداء بين الأئمة والصوفية مستمر إلى أن يصل ذروته عند قتل الامام صلاح الدين محمد بن على (حكمه ٧٧٣ — ٧٩٣ هـ) الفقيه الصوفى أحمد بن زيد بن عطية الشاورى وكان هذا (يقبح الإمام وصنف كتابا[3] يحذر فيه من البدعة فقصده الامام المذكور إلى بلاده فى عسكر كثير وهجموا على بيت الفقيه وقتلوه هو وولده أبو بكر وجماعة من أهله وأصحابه من غير قتال منهم بل ظلماً وعدواناً وذلك[4] سنة ٧٩٣ هـ .

وكان هذا التصرف مصدر تذمر كبير من قبل الصوفية بما فيهم العلامة الكبير

---

(1) الشرجى : طبقات الخواص ص ١٢٣ .

(2) نفس المصدر والصفحة .

(3) وهذا الكتاب هو الذى تصدى للرد عليه العلامة محمد بن يوسف الفضل فى كتابة (الانصاف فى الرد على أهل الزيغ والاعتساف) كما ذكر فى المقدمة .

(4) الشرجى : طبقات الخواص ص ٢٤ .

الفقيه اسماعيل بن أبى بكر المقرى المتوفى سنة ٨٣٧ هـ الذى كتب قصيدة يقول فيها مخاطبا الإمام صلاح الدين محمد بن على :

أرانى الله رأسك يا صلاح ... تداوله الأسنة والرماح
وقد طلعت وأنت بها صريع ... تقاسمك الأسنة والصفاح
لقد أطفأت للإسلام نوراً ... يضىء العلم منه والصلاح
فتكت بأولياء الله بغيا ... وعدوانا ولج بك الجماح
وبؤت بسخط ربك لا بحمد ... ولا أجر وعرضك مستباح
فتكت بأحمد فانهد ركن ... من الإيمان وانقرض السماح
فلا تفرح بسفك دم ابن زيد ... فما يرجى لقاتله فلاح(١)
فليس له سوى البارى نصير ... ولا عضد يعد ولا سلاح
توقع الهلاك فقد تدانى ... وقد نهضت على الفل الجناح
شهرت سلاحك المفلول فيمن ... سلاحهم الدعاء والافتتاح
قتلت الصائمين وهم سجود ... ينادون الإله لهم نواح
وما كانوا بعلمك أهل حرب ... ولا فيهم فتى فيه كفاح(٢)

وبعد هذا العمل الخطير من قبل الإمام الناصر صلاح الدين كان الصوفية يخافون الأئمة أشد الخوف ويحذرون من الاقتراب إليهم وقد ذكر الزجاجى رواية تدلنا على مدى تخوف الصوفية من الأئمة فقال إن (الفقيه الصوفى محمد بن موسى بن عجيل وقد كان أحد زهاد عصره قد أسر فى إذن الشيخ اسماعيل الجبرتى بقوله (أدع الله تعالى يمحى هذا القطر من إمام المفرق وأشار بيده له

(١) صدقت نبوءة ابن المقرى اذ قتل الامام فى نفس السنة التى قتل فيها الصوفى أحمد بن زيد الشاورى .
(٢) ابن المقرى : ديوان ابن المقرى ص ٣٨٠

تجاه مدينة صنعاء وذمار وأعمالها — واجعل خاطرك بذلك وإياك أن تسهل له فى ذلك) (١) . وهذا نص جلى يبين لنا شدة خوف الصوفية من الأئمة .

الامام شرف الدين والصوفية

وتمضى مرحلة من العلاقات بين الصوفية والأئمة لا نجد فيها ما يدفعنا إلى القول بأنها كانت علاقات حسنة وكل ما فى الأمر هذا الفتور الشديد الذى يصل أحيانا إلى تجنى الأئمة على جماعة الصوفية دون ما يبرر ذلك سوى بعض المسائل الاعتقادية المخالفة لهم . . وسنضرب عليها هنا .

وبعد مجىء الأتراك إلى اليمن وجد الامام شرف أن جماعة من الصوفية يخذلونه فى نضاله معهم ورسخ فى ذهنه أن هؤلاء الصوفية (يدخلون فى النصب بالايماء إليه أو بالتلويح كقول بعضهم أن آل النبى إنما هم من كان أتباعه)(٢) إلى آخر ذلك فما كان منه إلا أن تصدى لهم وعقد معهم أولا المناظرات ثم أودع بعضهم السجن والبعض قتله .

وقد ذكر ابن أبى الرجال فى ترجمة محمد بن عطف الله العبسى أنه وقعت بينه وبين الامام شرف الدين مناظرة وذلك فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٩٣٩ حول الصوفية بعد أن ظهر للامام جنوح العبسى إلى مبتدع هذا المذهب المنكر ولم يفعل الامام ذلك إلا لما رأى ميله إليهم ونصرته لمذهبهم)(٣) وبعد المناظرة هدده الإمام بقوله إن لم يقلع عن معتقد الصوفية (عامله معاملة المرتدين وأمره باعتزال زوجاته ثم أمهله حتى يراجع نفسه والا عومل بالقتل)(٤) ثم ان

(١) الزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .
(٢) ابن أبى الرجال : مطلع البدور نقلا عن كتاب الامام شرف الدين (الأثمار)
(٣) ابن أبى الرجال : المصدر السابق نقلا عن سيرة الامام شرف الدين الزريقى
(٤) المصدر السابق (مخطوط) .

العبسى رجع عن معتقده وذلك بعد أن ضرب وعذب وكتب رسالة يبين فيها رجوعه عن التصوف) سنذكرها فى موضع آخر(1) .

يقول ابن أبى الرجال - وهو يصور حالة الصوفية فى عهد الامام شرف الدين وذلك قبل اتهام العبسى بميله إلى الصوفية - (وكانت قبل ذلك خمدت نارهم وقل تظاهرهم بذلك واشتهارهم ونبا حدهم وانفل ودرس منهج سلوكهم واضمحل إلا من تخفى بذلك الرقص والتصفيق والغناء فى البيوت وما كان سبب خذلانهم إلا ما صار يصدر عن الامام شرف الدين من النهى عن اتباع التصوف ، والزجر عن السلوك فى تلك المسالك من أول دولته)(2) .

ولم يقف الأمر عند محمد بن عطف الله العبسى بل نجد الامام شرف الدين قد أخذ عبد الله بن القاسم بنفس الجريرة السابقة وكان هـــذا قد (علق قلبه بالتصوف بسبب رجل يقال له الشيخ على الجبرتى وصل إلى الظهرين من بلاد حجة والسيد عبد الله هناك فمال معه ولازمه ودار معه فى الأمصار فلما ظهر منه اعتقاد الصوفية حبسه الامام فى حصن العروس وأغاظ عليه)(3) ثم أطلقه بعد أن كتب رسالة يتبرأ فيها من مذهب الصوفية(4) .

على أن موقف الإمام شرف الدين من الصوفية لم يقتصر على السجن فقط بل تعداه إلى قيام الإمام بقتل بعضهم . يقول المؤرخ يحى بن الحسين فى حوادث سنة ٩٤٢ (وفيها أمر الإمام شرف الدين بقتل الفقيه حسن بن على الجدر(5)

---

(1) انظرها فى قسم الملاحق «وقد رأينا ارجا هذه الملاحق بعد أن رأينا توسم الكتاب»
(2) ابن أبى الرجال : المصدر السابق .
(3) المصدر السابق مخطوط .
(4) انظرها فى قسم الملاحق .
(5) كذا ورد اسمه فى غاية الأمانى وفى المطلع باسم حسين بن يحيى الجدر ؛

لما ظهر منه العمل بعقيدة (الشطاحين) من الصوفية ومال إليه كثير من الناس واستتابه الامام ولم يتب)(1) وقد توسع فى هذا الخبر ابن أبى الرجال وهو ينقل عن مصدر قديم الزريقى وقال انه - أى الإمام شرف الدين - لم يكلف نفسه بمناظرة حسن بن يحى الجدر كما فعل مع العبسى وذلك (لعدم رسوخ الجدر فى العلوم) ثم (لما فتح الامام مدينة صعدة وجد عند بعض متصوفيها كتابا من الفقيه حسن الجدر فيه التحريض له على البقاء فى التصوف وأنه لا يروعه الكلام والزجر من الامام شرف الدين فلما رأى الامام ذلك هم بقتله وأشار إليه بعض الحاضرين أن يحبسه فأمر الامام ابنه على شمس الدين بحبسه ثم إن الفقيه حسن الجدر حلف بالله الايمان المغلظه أنه قد خرج عن هذا المعتقد سرا وجهراً وأن هذا الكتاب كان قبل استتابة ابن عطف الله العبسى ورسالته ، فقبل الامام عذره واستمرت الحالة إلى شهر صفر سنة ٩٤٢ ثم ظهر منه البقاء على مذهبه المشؤوم وأنه مسر للكفر فأمر الامام بقتله فى ضحوة نهار الجمعة ٢١ من شهر صفر المذكور بحلقة صنعا)(2) .

وهكذا كانت علاقة الامام شرف بالصوفية تطور من سيء إلى أسوأ وأنها ليست بأحسن من سابقتها من الأئمة الذين تقدموه .

الصوفية والدولة القاسمية

بدأت الدولة بالامام القاسم بن محمد (حكمه من ١٠٠٦ — ١٠٢٩ هـ —) الذى يعتبر من فحول العلماء المصنفين وقد سبر أغوار مذهب الصوفية فلم ير فيه رأيا حسنا فكان من شأنه أن تصدى للرد عليهم فى مؤلف كبير بعنوان (حتف

---

(1) يحيى بن الحسين غاية الامانى ص ٦٨٠ .
(2) ابن ابى الرجال مطلع البدور (مخطوط) .

أنف الإفك(١) شرح فيه قصيدة له أسماها (الكامل المتدارك فى بيان حال الصوفى الهالك) ومما جاء فيها قوله معرضا بالصوفية :

فينا التلاوة والمواعظ والدعا ... واللحن عندهم ببرقة تمهد
فينا الصلاة والزكاة وصومنا ... وجهادنا أحد بذاك أحد
والرقص عندهم وكل محرم ... والفاحشات وقولهم أطرق مد

وعلى هذا السنن المعادى للصوفية أيا كانوا كتلك الحادثة التى يرويها المؤرخ يحيى بن الحسين فى كتابه بهجة الزمن يقول فى حوادث سنة ١٠٧٤ (وفيها أو التى قبلها أحرق الامام المتوكل على اسماعيل كتاب (الفصوص) لابن عربى بناء على ما فيه من كفر بحت(٢) وكتاب الفصوص من كتب الصوفية فتحس من هذا العمل عداء الامام المتوكل على الله اسماعيل للصوفية وإن كان الأمر يبدو بسيطا نظرا لأن هذا الكتاب من الكتب التى يتبرى منها الصوفية المعتدلون ومع ذلك فما زال موقف العداء تجاه الصوفية مسيطرا على الأئمة حتى آخر إمام وهو الناصر أحمد بن يحيى حميد الدين الذى قام بهدم ضريح الصوفى أحمد بن علوان فى يفرس وأضرحة أخرى لكبار الصوفية فى الحديدة وتعز(٣) وقد قال الشاعر محمد محمود الزبيرى مشيراً إلى صنيع الامام ذلك :

كذلك المجد إما رافعا علما ... أو باعثا أمما او هادما صنما
قد اقتلعت قباب الشرك متخذا ... مكانة البيض والهندية الخذما
حطمت قبرا خطير الشان جانبه ... لولا عزيمتك الشماء ما انحطما
جرح على كبد الاسلام متسع ... وضعت فيه شعاع الشمس فالتأما

---

(١) هذا الكتاب مخطوط ضمن كتب الجامع بصنعاء برقم ١٢٠ (علم الكلام) .

(٢) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط) .

(٣) زيارة : أئمة اليمن . القسم الاول ص ٢٠٤ .

وعلى العموم فإن الموقف بين الفريقين كان موقف خصومة ومحاربة وقد نبه لهذا العداء فى القرن العاشر العلامة محمد بن يحيى بهران المتوفى سنة ٩٢٧ الذى أخذ على صوفية زمانه عداءهم الشديد للأئمة يقول (ومن نقائصهم مخالفتهم ومباينتهم للأئمة فهؤلاء القوم الصوفية نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم ونفروا الناس من اتباعهم وانسبوهم إلى الابتداع فى الدين بل الخروج عن جبلة المسلمين)(١) هذا من حيث عداء الصوفية للأئمة أما من حيث عداء الأئمة للصوفية فقد أشار إلى ذلك العلامة صالح بن مهدى المقبلى المتوفى سنة ١١٠٨ فى كتابه العلم الشامخ يقول (وقد من الله علينا فى اليمن بحسم مادة التصوف فى جبال اليمن بسبب الإمام القائم فيها وكان من أفضل ما جاء به منع الزوفين(٢) من اللعب لأن مذهبهم تحريم الغناء ومن غريب ماروى بعض العلماء أنه اهدى للإمام (الفصوص) كتاب ابن عربى وكانت له جارية مغضوبة(٣) فقال لأهله أوقدوا هذا الكتاب واخبزوا عليه قرصا واطعموه هذه الجارية ففعلوا فكأنما نشطت من عقال(٤) ثم سألت الإمام عن ذلك وحكيت له ما قيل فقال نعم

---

(١) ابن بهران: الكشف والبيان (مخطوط) .

(٢) التنابل والرقص (تاج العروس) .

(٣) مشوله أو ما يقارب هذا المعنى (تاج العروس) .

(٤) ومثل هذه الحكاية ما يذكره ابن الأمير عن نفسه أنه (وقع معه عارض إسهال زيادة على سنة ونصف ولم ينفع فيه دواء وأعيا الأطباء وجاءنى بعض فقهاء صنعاء بكتاب اسمه (الانسان الكامل) تأليف الجيلى من كتب الصوفية ومعه المنقول به على غير أهله) فطالعت الكتابين وكنت قد قرأت الأول منهما من أيام ثم رأيت فيهما ما هو والله كفر لا يتردد فيه ذو إيمان فحرقتهما ثم جعلت أوراقهما فى التنور وخبز لى على جمرهما خبز تسبع وأكلته بنية الشفاء من ذلك الداء فذهب بحمد الله الألم ونشف البلل أو أكثره وحمدت الله تعالى على نصرة دينه) (انظر ديوان ابن الامير ص ٣٢٩) .

فعلنا ذلك فشفيت فهذه الخارقة عارضت خوارق بن عرفى) (١) .

وهكذا كانت العداوة بين الفريقين يتوارثونها جيلا لجيلا وهى تميل فى بعض الأحيان إلى أسباب سياسية بحتة كخشية بعض الأئمة من نفوذ الصوفية الروحى وتغير العامة من اتباعهم كما رأينا فى نص ابن بهران السابق أو أنها ترجع إلى أسباب مذهبية يتفق الأئمة بها مع فريق الفقهاء الذين نقدوا الصوفية لأسباب تتعلق بأمور الدين وخروج هؤلاء عن قاعدة الشريعة الاسلامية ولا يتعدى هذا العداء أحد الأمرين .

« استمالة الأئمة للصوفية »

وحينما وجد الأئمة أن صوفية اليمن يبتعدون عنهم وخاصة أولئك النفر الذين قطنوا المناطق السهلية وبعض بلدان الجنوب رأوا أن فى ذلك خطرا كبيرا يهدد مراكزهم الروحية والسياسية فما كان منهم إلا أن استعاضوا عنهم بجماعة من صوفية الجبال قربوهم إليهم واغدقوا عليهم المال لعل فيهم ما يسد النقص ويبعد عن الاذهان ما علق بها من أن الأئمة كانوا يحاربون الصوفية والتصوف من حيث أصله فقد وجدنا الامام الناصر صلاح الدين الذى قام بعمله فى قتل الصوفى الجليل أحمد بن زيد الشاورى . يتقرب إلى الصوفى الكبير إبراهيم ابن أحمد الكينعى المتوفى سنة ٧٩٣ هـ ويرحل إلى ذمار لقصد زيارته وطلب الدعاء منه وكان يقول (استغفر الله من تقصيرنا فى حق هذا الامام (٢) ويقول المؤرخ يحيى بن المهدى (كان الامام صلاح الدين يزور الكينعى فى كل عام إلى ذمار وإن كان فى صنعاء ففى الشهر أو الشهرين يزوره فى الليل فى خلوة خالية .)

ولعله من الغرابة بمكان أن هذا الامام الذى عرف عنه عدم ميله إلى الصوفية

(١) المقبلى : العلم الشامخ ٣٨١ .

(٢) يحيى بن المهدى : صلة الاخوان (مخطوط) .

كان على علم تام بعلوم الصوفية ومواجيدهم وقد اعترف له بهذا معاصره الصوفى إبراهيم الكينعى يقول (يعلم الله أنى ما وجدت فى علوم المعاملة وعلوم أهل الحقيقة ووظائف هذه الطريقة ومكاشفاتهم فى وقتى هذا أعرف من الامام الناصر) (١) .

وقد حوت مكتبة الامام الناصر بعض كتب الصوفية النادرة يقول من وقف عليها — وهو الكينعى السابق الذكر — (قد شاهدت عنده كتبا غريبة فى علوم الزهاد وحكايات الأولياء مالم أره إلا عنده منها كتاب كيمياء السعادة للغزالى وأجزاء من إحياء علوم الدين) (٢) ولعل ذلك من باب معرفة الشىء .

وإذا كان هذا موقف الامام الناصر بما أثر عنه من قتل الصوفى الشاورى فما بالك بغيره .

« مؤلفات الأئمة فى التصوف »

على أنه يجب أن نعتبر سلوك بعض الأئمة المعادى تجاه الصوفية عملا سياسيا بحتا تقتضيه الأوضاع الخاصة بهم من حيث تنافس الفريقين فى استمالة الناس من طريق التأثير الروحى وبعض الزعامات الدينية . وإلا لما هناك عداوة . وقد رأينا بعض الأئمة المعتدلين الذين لا هم لهم فى النفوذ السياسى يتساهلون مع الصوفية بل نجد منهم من لم يكتف بهذا كما هو الحال عند الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ هـ الذى كان يردد الثناء على الصوفية حتى أن الصوفى عبد الله بن أسعد اليافعى يستغرب من أن الإنكار على الصوفية لا يصدر إلا من قبل أهل (السنة) (مع أن إمام الزيدية العلامة الفاضل يحيى بن حمزة كان يستحسن القصيدة التى كتبتها فى الثناء على الصوفية وقد أخبرنى بعض الاصدقاء

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

قال رأيته فى حراز من بلاد اليمن وقد أتى غازيا للاسماعيلية فى جيش كثيف قال فلما علم أنى قاصد الحج قال لعلك تأتينى أو قال عسى أن تأتينى بشىء من كلام اليافعى)[1] .

إذن فلا نستغرب إذا وجدنا الامام يحيى بن حمزة يضع مؤلفا حافلا فى التصوف يعتبر من أهم ما تركه أهل اليمن فى هذا الباب من حيث التقسيم وسلامة التعبير بل إنه يدخل من ضمن الكتب النادرة التى تناولت سلوك المجتمع على مستوى شامل وعالجت مسألة سياسة الأفراد الخاصة والعامة .

وهذا الكتاب — ويسمى (تصفية القلوب عن درن الاوزار والذنوب)[2] بناه على أبواب رئيسية نفهم منها منحى الكتاب وقضاياه وهى :

المقالة الأولى : فى الرياضة وتهذيب الأخلاق .

المقالة الثانية :

المقالة الثالثة : فى بيان الصفات المهلكة .

المقالة الرابعة : فى الصفات المنجية فى بيان الأمور المعتادة نحو الأدب فى الاكل والشرب إلخ ..

المقالة الخامسة : فى بيان أخلاق النبوة وذكر المعجزات الباهرة .

المقالة السادسة : فى العزلة .

المقالة السابعة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

المقالة الثامنة : فى الزهد .

---

(١) اليافعى : مرآة الجنان ج ٤ ص ٣١٥ .

(٢) مخطوط بمكتبة الجامع برقم (٧٢) تصوف ومنه نسخ أخرى متعددة . انظر كتابنا مؤلفات حكام اليمن » .

المقالة التاسعة : فى الغرور .

المقالة العاشرة : فى ذكر الموت .

ومن هذا التقسيم يبدو لنا جليا تأثر الامام يحيى بن حمزة بأسلوب الغزالى فى كتابه الإحياء حتى كان هذا دافعا للواسعى فى القول بأن الامام يحيى بن حمزة نحا فى كتابه نحو الغزالى فى الإحياء [1] وما ذاك إلا من حيث التقسيم إذ فى الكتاب أمور انفرد بها وحده كنظرته العامة للمجتمع وسياسته السلوكية الدينية .

على أنه لا مشاحة فى اطلاع الإمام يحيى بن حمزة على كتاب الإحياء حيث تشهد قائمة كتبه إلى مؤلف مختصر بعنوان (عقد اللآلى فى الرد على أبى حامد الغزالى)[2] انتقد فيه القسم الخاص بالسماع من كتاب الاحياء وهذا دليل على قراءة الامام رحمه الله للإحياء .

والآن وقد عرفنا إعجاب الإمام يحيى بن حمزة بالصوفية وتأليفه فى علومهم فلا علينا إلا أن نلتفت إلى نفر من الأئمة الذين اهتموا بالتصوف وفنونه فنجد فى قائمة مؤلفات الإمام المهدى أحمد بن يحيى المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ عدة عناوين توحى باهتمامه بهذه الناحية ككتابه (تكملة الأحكام والتصفية من بواطن الآثام)[3] وله عليه شرح فى مؤلف ضخم بعنوان (ثمرات الاكمام)[4] وهذا الكتاب عنى به جمع غفير من صوفية اليمن فشرحوه وذيلوا عليه كشرح صلاح الدين الجحاف المتوفى سنة ١٠٥٣ وشرح الحسن بن أحمد الجلال

---

(١) الواسعى : فرجة الهموم والحزن ص ١٩٥ .

(٢) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ١٠ مجاميع .

(٣) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ٧٥ تصوف .

(٤) مخطوط : بالمتحف البريطانى برقم ٣٩٣٧ .

المتوفى ١٠٨٤هـ وغيرهما وللامام المهدى عدة رسائل مختصرة تدخل ضمن كتب الصوفية كرسالته (حياة القلوب المحى لعبادة علام الغيوب)[1] و (الزهرة الزاهرة بتحقير الدنيا وتعظيم الآخرة)[2] وغيره .

وآخر من نذكره من الأئمة المؤلفين فى التصوف الامام عز الدين بن الحسن المتوفى سنة ٩٠٠ فقد ترك فى علم التصوف كتابا جيدا بعنوان (كنز الرشاد وزاد المعاد)[3] وهو يتميز على سائر الكتب المصنفة فى علم التصوف عند اليمنيين بحسن التبويب ووضوح العبارة وقد قسمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وهو فى عمومه يدور حول الجانب الخلقى من التصوف ولم يتعرض إلى شىء من العلوم التى تميز بها الصوفية من أتباع ابن عربى بل سنجده يحذر فى مقدمة الكتاب من تلك العلوم (الشاطحة) وينقل فى ذلك قصيدة جاء فيها قوله فى الرد عليهم :

تركوا الشرائع والحقائق واقتدوا بطرائق الجهال والضلال
فاحذرهموا واحفظ مودة سادة قاموا بذكر الله فى الآصال[4]

وهكذا تتابع مؤلفات الأئمة فى التصوف إلا إنها تدور كلها حول الجانب العملى من التصوف ولم نجد أحدا منهم يخوض فى فلسفات صوفية أو أفكار تبعده عن الجانب السنى المأثور عن جيل الصحابة وزهاد المسلمين .

---

(١) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ٢٢ فرايض .

(٢) مخطوط : بمكتبة الامبروزيانا وآخر بمكتبة الجامع برقم ٦٠ مجاميع .

(٣) طبع سنة ١٣٤١ بتصحيح الشيخ عبد الواسع الواسعى ثم اعيد طبعه اخيرا وصدر ضمن مؤسسة غمضان التجارية .

(٤) عز الدين بن الحسن : كنز الرشاد ص ١١ .

مدرسة ابن عربى فى التصوف اليمنى

ابن عربى واليمن

لاتوجد هناك صلة تذكر بين الشيخ محيى الدين بن عربى واليمن إلا إذا اعتبرنا هذه الصلة من خلال نسبته إلى قبيلة (طى) [1] التى يعتبرها المؤرخون من القبائل اليمنية ويسلسلون نسب جدهم طى إلى قبيلة كهلان اليمنية .

وحتى هذه النسبة يبدو أنها بعيدة جداً حيث أن قبيلة (طى) سكنت (جبلى أجأ وسلمى) من بلاد نجد فكانت ديارهم من دون (فيد) إلى أقصى (القريات)[2] ولم تسكن فى اليمن ، ومن هنا لانرى سببا فى جعلها من القبائل اليمنية إلا إذا اعتبرنا ذلك من خلال جدهم الأول .

ومن الغريب أن يرحل الشيخ ابن عربى إلى شتى بقاع المعمورة دون أن يعرج إلى اليمن، وقد كانت قريبة منه جداً حينما كان فى مكة . يقول بلاسيوس وهو يصف رحلات الشيخ أنه رحل إلى مراكش وتونس ومكة ومصر وبغداد والموصل والقدس وانطاكية ودمشق وحلب وقونيه[3] . وما كان أقرب من اليمن من كل هذه الأماكن . لولا أن الشيخ ابن عربى قد خشى من خطورة المجىء

---

١ — اليك سلسلة نسب الشيخ محى الدين ابن عربى كما ذكرها اصحاب التراجم : محمد بن على بن محمد بن احمد بن عبد الله الطائى الحاتمى الاندلسى المرسي (العقد الثمين للفاسى ج ٢ ص ١٦) .

٢ — خير الدين الزركلى : الاعلام ج ٣ ص ٢٢٧ .

٣ — آسين بالاسيوس . ابن عربى ص ٥٣ .

الى اليمن وخاصة أنها قد شهدت فى هذه الفترة معارك طاحنة بين الدول القديمة والمستحدثة ولا نستبعد ذلك فقد عاصرت هذه المرحلة قيام الدولة الرسولية وماصحبها من حروب عنيفة ليس للشيخ ابن عربى قدرة عليها على ان ابن عربى لم يبت كل الوشائج التى تربطه باليمن حيث استعاض عن رحلته اليها باللقاء مع جماعة من علمائها الكبار منهم المحدث اليمنى الشهير محمد بن إسماعيل بن ابى الصيف المتوفى سنة ٦٠٩ الذى ذكر اجتماعه به وأخذه عنه فى كتابه (الفتوحات المكية)(١) . وهو اليمنى الوحيد الذى صرح باسمه فى كتابه .

مدرسة ابن عربى فى اليمن

إذا عرفنا هذه الصلة الضعيفة بين شخصية ابن عربى واليمن فسنجد ان اليمن قد عوضت تلك باحتضانها لتعاليمه منذ مدة مبكرة .

وكانت البداية أولا على يد جماعة من الصوفية اتفقوا معه فى المشرب الصوفى ولم يكن لهم به صلة . فقد شهد القرن الذى توفى فيه ابن عربى تبلور تعاليم المدرسة (الاشراقية) عند صوفية اليمن الذين قد يكونون متأثرين فيها بالمصادر التى أخذ عنها ابن عربى نفسه، ولا نستبعد ذلك حيث نجد أفكار الحلاج ومن سار فى مسلكه قد راجت فى اليمن قبل هذا التاريخ بمدة ليست بالقصيرة .

وقد تعاطى هذه الفلسفة الصوفية جماعة من رجالات اليمن الكبار كان على رأسهم الصوفى اليمنى الكبير أبو الغيث بن جميل الذى حملت كتاباته الصوفية طابع المدرسة الفلسفية سواء إن كان متأثراً فيها بابن عربى — على الرغم من معاصرته له —(٢) أو بأسلافه من الاشراقيين أمثال الحلاج والسهروردى

---

(١) ابن عربى : الفتوحات المكية ج ١ ص ٧٥٧ .

(٢) ولد الشيخ أبو الغيث سنة ٥٦٠ تقريبا وهى نفس السنة التى ولد فيها ابن عربى على ان أبا الغيث تعمر بعد ابن عربى بمدة طويلة .

وغيرهما. وقد اراد الأهدل ان ينفى الكتاب المنسوب إليه بأقوال لاتعتمد على دليل مدعم بالنص وصريح يقول (واعلم ان الكتاب المنسوب الى الشيخ أبى الغيث جميل يقع فيه كثير مما يشبه مقالات ابن عربى من الاتحاد لكن الكتاب لايصح له سند يعتمد عليه لان المشهور ان الشيخ كان أميا لا يقرأ ولايكتب ولايعرف ثقة محقق ضابط كتبه عنه بل جمعه من جمعه من مقالات متفرقة لاتثبت آحادها بروايات عنه صحيحة مسموعة)(١) ويحاول فى هذا الصدد أن يرجع نسبة الكتاب الى الشيخ أبى بكر اليحيوى أحـــد المنتمين الى مدرسة ابن عربى من المتأخرين(٢) ودعوى أن الشيخ بن جميل كان أميا لا تنفى عنه ان يصنف كتابه بواسطة الإملاء على أحد مريديه كما فعل فى رده على رسالة الإمام أحمد بن الحسين يقول الجندى (لما وصل كتاب الإمام الى الشيخ قال لبعض أصحابه اقرأ كتاب الفقيه فلما فرغ قال ياغلام على بدواة وقرطاس فلما حضر قال الشيخ اكتب ان ينصركم الله الخ)(٣) وهذا يدلنا على أن الشيخ كان باستطاعته ان يصنف كتبا بواسطة الاملاء كما فعل حين كتب جواب الإمام ولايصح ان نعتمد قول ابن الاهدل مادام الكتاب منسوبا الى الشيخ أبى الغيث والمهم أننا نستطيع ان نوصل تعاليم ابن عربى فى اليمن من عصر الشيخ أبى الغيث الذى ادرك حياة ابن عربى وكان قد أثر عنه فى كتابه الذى أشار إليه ابن الاهدل مايشبه أفكار الشيخ ابن عربى مثل قوله (ان الكون كله صورة واحدة ظاهرها شريعة وباطنها حقيقة)(٤)

---

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٠

(٢) الاهدل : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الجندى : السلوك (مخطوط) .

(٤) الاهدل : المصدر السابق ص ٢٨٠ .

وقوله (لاشك أن التوفيق شقاء لقبيلة ايمان كل مخلوق على قدر علمه ومعرفته سواء كان موافقا للنبى (ص) أو مخالفا له يقينا)(١) ومن ذلك قوله (من عرف الله انكر وجود الخلق وصار أهل الجنة والنار بأمره نحو مايشاء)(٢) ومن أقواله فى هذا الصدد (ان طائر الفقر ينعق بلسان الازل ويرفل فى حلل الأحدية)(٣) إلى غير ذلك من أفكار نجدها عند اتباع ابن عربى .

ومن الذين يدخلون فى زمرة مدرسة ابن عربى من صوفية اليمن القدامى الشيخ أحمد بن علوان المتوفى سنة ٦٦٥ وكتاباته هى مزيج من الوعظ الصوفى وبعض الأفكار الفلسفية حتى ان المستشرق ماسينيون عده من جملة أتباع الحلاج(٤) الذى يبحث غالبا فى الوعظ الدينى وبعض الأفكار الصوفية الفلسفية كما أشرنا سابقاً على أنه استحدث فى كتاباته نوعاً جديداً من التعبير بلغة غريبة زعم أنها لغة خاصة به ولا يعدو الأمر ان يكون من أسباب افراطه فى الرياضة ومن نظرة سريعة إلى عناوين كتبه يتضح لك تلك الوجهة التى تميز بها تأليف ابن علوان من ذلك كتابه (البحر المشكل الغريب)(٥) وكتاب (الفتوح المصونة والاسرار المخزونة)(٦) وكتاب (التوحيد الاعظم)(٧) وغيره .

---

(١) المصدر السابق : نفس الصفحة

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ماسينيون مجلة الورد العدد ٣ سنة ١٣٩٢ ص ٦٢، بل نسب إلى ابن علوان كتابا بعنوان ذكرى الحلاج .

(٥) مخطوط بالمكتبة الآصفية .

(٦) مخطوط بجامع تريم بحضرموت فى مجلد ضخم .

(٧) مخطوط بمكتبة الجامع ٨٥ تصوف : المكتبة الغربية .

وبهذين الرجلين — ابن ابى الغيث وابن علوان — قامت مدرسة الفلسفة الصوفية فى اليمن إلا أن قربهما المباشر من عصر ابن عربى لم يجعلهما يستفيدا من كتاباته الخاصة وإنما كان ذلك من خلال المشرب الذوقى الذى عرفت به تعاليم هذه المدرسة وهم ينهلون جميعا من الاتجاه . الذى سار عليه اسلافهم فى هواهم فى الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية .

على ان تكون مدرسة ابن عربى فى صورتها الحقيقية المنتمية إليه كان فى القرن السابع بواسطة احد القادمين إلى اليمن — ولم يكن للاهالى يد فى نشأتها — إذ تنسب تعاليم ابن عربى فى اليمن إلى قادم هو الصوفى أبو الخطاب عمر بن عبد الرحمن بن حسان المتوفى سنة ٦٨٨ هـ وقد أتى إلى اليمن بأمر من شيخه نجم الدين الاخضر كما أشرنا إلى ذلك فى فصل سابق وكان المقدسى فقيها منطقيا وصل إلى تعز فعين بها مدرسا بمدرسة أم السلطان فى مغربة تعز(١) وهذا الشيخ هو الذى ادخــل كتب ابن عربى إلى اليمن ولم تكن معروفة من قبل(٢) .

وقد اثمر مكوثه فى اليمن بظهور جماعة من التلاميذ أمثال محمد بن سالم ابن البانه الذى تشرب بحب مذهب ابن عربى فكان يتباحث هو وشيخه فى علوم التصوف بمالا تحتمله العقول(٣) إلى أن انتج ذلك وجود أول نزاع بين الفقهاء والصوفية كما سنبينه فيما بعد .

وما كاد ابن البانه يتوفى حتى تأتى أفكاره غرسها فى شخص تلميذه رضى الدين أبو بكر بن محمد بن عمر اليحيوى المعروف بالخزاز يقول

---

(١) هى احدى أقسام مدينة تعز الرئيسية بعد العدينة والمحالب .

(٢) الاهدل كشف الغطاء ص ٢١٨ .

(٣) الجندى السلوك مخطوط .

الخزرجى (وربما أخذ عن ابن المقدسى)(١) وقد تصوف وصحب أكابر الصوفية من أهل اليمن وغيرها ثم حج إلى مكة ولقى بها جماعة من مشاهير الصوفية . وفى مكة حصل على مؤلفات ابن عربى وانتسخ كتاب الفتوحات المكية فعكف عليها واعتقد ما فيها ثم عاد الى اليمن ونشر بها تعاليم ابن عربى .

وهذا الرجل هو من أنشط أنصار ابن عربى فى اليمن وأكثرهم خبرة بأمور الملاطفة فكان يتقرب إلى (فقهاء تعز وغيرها مع تحققه أنهم يكرهونه وربما أساؤا إليه وأحسن إليهم)(٢) إلا أنه كانت له مع رجال الدولة علاقة حسنة فلم يستطع الفقهاء ان يمسوه بأذى يقول الخزرجى (وحصل بينه وبين الملك المؤيد ائتلاف وصحبه قبل تحول الملك إليه واعتقد صلاحه ولما صار الملك إلى الأشرف تخوف وخرج هو وجماعة من المنتمين إليه من تعز إلى ناحية وصاب . ولم تمض إلا مدة وجيزة حتى مات الأشرف وتولى المؤيد فاستدعاه وأكرمه)(٣) وربما تعاطى شيئاً من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خلافا لزملائه من الصوفية فكان يتشدد فى إبطال الخمور (وبإشارته انتقلت الاوقاف من حكام الشرع إلى أرباب الدواوين ولم تكن من قبل إلا إلى حكام الشرع الشريف)(٤) على أن الاهدل — كعادته فى الانكار على هذه الطائفة من المنتمين الى ابن عربى - يستريب فى هذا المسلك ويقول (لعله فعل ذلك تقربا إلى الدولة فان عادة هذه الطائفة أعنى أتباع ابن عربى التحبب إلى الدولة حتى يجعلوا السلطان الجائر من الابدال)(٥) توفى ابن المزاز بعد انتقاله إلى مدينة زبيد

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٠٩ .
(٢) الجندى : السلوك مخطوط .
(٣) الخزرجى طراز أعلام الزمن مخطوط .
(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٨٩ .
(٥) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢١٨

ع ٧٠٩ ويقول الناشرى وبموت ابن المزاز تنقضى مرحلة أولى من مراحل أتباع ابن عربى فى اليمن (١) ولا يتجدد أمرهم الا بعد النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى .

ففى هذا التاريخ يعود شأنهم فى النشاط بأعظم مما سبق ويكون لهم صولة كبرى تثير حفائظ الفقهاء وتسبب نزاعا كبيراً أصبح حديث الناس فى وقتهم وما بعدهم والذى يهمنا . فى هذا الفصل هو تتبع نشاط مدرسة ابن عربى فى اليمن دون الالتفات إلى القضايا التاريخية التى تمخضت عن ذلك فقد استفحل أمر هذه الطائفة الصوفية وأخذوا يتجاسرون فى الدخول فى القضايا الفلسفية الصوفية بمعرفة وبدون معرفة وأغلب الظن أنه ينطبق عليهم وصف الامام يحيى بن حمزة فى حديثه عن غرور الصوفية يقول (أدعوا علوم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال ولا يعرفون هذه الامور إلا بالاسامى ومجرد العبارات ولا يحيطون بشىء من معانيها بل قد يلتقطوا من كلمات الصوفية وهم يرددونها ويظنون أن ذلك علم من علوم الاولين والآخرين)(٢) بل قد وصل بهم الامر فى الدخول فى هذه المسألة إلى أن جماعة من صوفية زبيد (كانوا يتعاطون الخمر ويقول أحدهم للآخر وعزتى لان تعطينى الكاس لارسلك الى خلقى أو نحو ذلك وأن بعضهم يقول للآخر سبحانك وان رجلا عاب رجلا عندهم فقالوا له اتسب الله وان بعضهم يقول هذا الجدار هو الله)(٣) إلى غير ذلك من أمورهم التى أدى إليها فهمهم الخاطئ للتصوف الفلسفى والغلو فى

(١) الاهدل : المصدر السابق نقلا عن الناشرى فى كتابه الغرور والدرر فى الانساب والسير .

(٢) يحيى بن حمزة التصفية مخطوط .
(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٤ .

استعمال نظرياته المعروفة عند أتباع ابن عربي وهذا يدلنا على أن تلك الفلسفة قد شاعت حتى عند عامة الصوفية بدليل تلك الأفعال الطائشة التي لا تصدر إلا من جماعة العوام .

وكانت مدينة زبيد مصدر ذلك الرواج الكبير لنشاط الصوفية من أنصار ابن عربي وذلك على أثر احتضان أكابر صوفيتها المعتقدين كالشيخ اسماعيل الجبرتي لجماعة من أتباع ابن عربي وبعض تلامذته أمثال ابن الرداد والمزجاجي مع أن هؤلاء يجب أن يبرؤا من أفكار ابن عربي لعدم مشاركتهم فيها ولم يصمهم بها أحد من الذين أرخوا لهم حتى خصومهم (١) الذين طعنوا عليهم في سلوكهم بتقريبهم أتباع ابن عربي والتودد إليهم، وأغلب الظن أن نشاط تعاليم ابن عربي في مدينة زبيد لا يعود إلى أكابر متصوفيها بقدر ما يعود إلى الصوفية القادمين إليها من بلدان مختلفة وقد رأينا فيما سبق كيف أن المقدسي القادم من بيت المقدس أول من أسس طائفة من الصوفية منتمية إلى ابن عربي، وعلى هذا التقدير يمكننا أن نرجع انتشار تعاليم ابن عربي وإحيائها للمرة الثانية خلال القرنين الثامن والتاسع إلى قادم آخر هو الشيخ عبد الكريم الجيلي المتوفى سنة ٨٠٥ الذي يعد من أكابر الفلاسفة المتصوفين ويكفي أن نعلم أن كتابه (الانسان الكامل) يعد دستور المتصوفين الذين شاركوا ابن عربي في فلسفته . وقد اعتبره ابن الأهدل (من قدماء أصحاب الشيخ الجبرتي)(٢) ويقول في وصفه (هو أعلمكم في ذلك البحر — يعني القول بالاتحاد ووحدة الوجود — وقد اجتمعت به قبل الأعرف مذهبه بأبيات حسين . حكى لي عنه فقيه صادق أنه صحبه في بعض أسفاره فسمع منه الثناء العظيم على ابن عربي وعلومه وكتبه وسمع منه التصريح بربوبية كل

(١) المصدر السابق .
(٢) الأهدل : تحفة الزمن (مخطوط)

من يلقاه في الطريق من إنسان أو طائر أو شجر)(١) وسندرك خطورة هذا الرجل إذا عرفنا أن كتبه تسبح في فلك فلسفة ابن عربي وأن بعضها ليس إلا شرح عليها أو تكملة لها ككتابه . (الاسفار عن رسالة الانوار)(٢) .

اتباع ابن عربي في القرن التاسع

على أنا إذا تتبعنا أسماء المنتمين إلى مدرسة ابن عربي من أهل اليمن خلال هذه الفترة فسنجدهم جماعة من الصوفيه تشبعوا بحب ابن عربي دون أن يكلفوا أنفسهم فهم مذهبه وما وصل إليه ومن ثم أن انتمائهم إليه مجرد إعجاب شكلي لا يتعدى المضمون فهم لم يدخلوا معه في مشاركات علمية تضيف جديدا إلى هذه الفلسفة لا من حيث المشاركة في التصنيف ولا من خلال المناقشات العلمية .

وقد ظهر من شاكلة هؤلاء جماعة كثيرة سنكتفي منهم بذكر أولئك الذين عاصروا معمعة النزاع بين الفقهاء والصوفية ، وسنعتبر ثبات أولئك على بدأم الصوفي دليل قوي على انتمائهم لمدرسة ابن عربي وتشبثهم بتعاليمه .

فمن هؤلاء الصوفي اليمني أحمد المعيبدي الذي لم نظفر له بترجمة خاصة وهو غير الوزير أحمد بن عمر بن معيبد الذي تولى الوزارة للملك الأفضل سنة ٧٩١ وامتدحه ابن المقرى في ديوانه(٣) وترجم له الخزرجي وبامخرمة(٤) أما المعيبدي المقصود هنا فقد أشار إليه الأهدل في تاريخه وعده من أصحاب الشيخ اسماعيل الجبرتي وقال (هو من أعلمكم صح عنه أنه قام في سماع وأخذ الدف وقال هذا عندي أفضل من منهاج النووي)(٥) وفي موضع آخر وصفه بأنه من أعرف

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٤ .
(٢) رسالة الانوار من مؤلفات ابن عربي .
(٣) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ١٦٥
(٤) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١١
(٥) الاهدل تحفة الزمن (مخطوط) ويعني بمنهاج النووي كتاب (منهاج الطالبين من أمهات كتب الشافعية في الفقه تأليف العلامة يحي بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ .

أصحاب الجبرتي بكتب ابن عربي . توفي في حدود سنة ٨١٥ هـ .

ولعل هذا الرجل هو أكثر زملائه معرفة بعلوم ابن عربي بدليل تلك الحملة التي شنها عليه ابن الاهدل ووصفه له بالاطلاع على كتب ابن عربي وفهمها .

أما بقية الذين عاصروه من المنتمين إلى مدرسة ابن عربي فهم الذين وافقوه من حيث الشكل كما أشرنا سابقا وقد ذكر الزجاجي جماعة منهم كالشيخ عبد الله ابن عمر المسن . من أصحاب الشيخ الجبرتي وربما وقف عنده الأشهر الطويلة وكان من العلماء المتفننين والأولياء الكبار (وله فهم صحيح في كتب الشيخ ابن عربي وحصل منها عدة كتب ككتاب (الفصوص) وشرحه للشيخ مويد الدين الجندي وشيء من الفتوحات المكية وغير ذلك لما اتضح له فيها من الفهم وتحقق المعنى وصحته عنده وكان له في الشيخ محي الدين ابن عربي اعتقاد حسن)(١) .

ومن هؤلاء الشيخ قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم من أهل مدينة (بروم) القريبة من مدينة الشحر وكان يتردد إلى مدينة زبيد للاجتماع بالشيخ اسماعيل الجبرتي (واستعار منه كتاب « الفتوحات المكية » للشيخ محي الدين ابن عربي ونقله في مدة قريبة)(٢) .

وآخر من نذكرهم من أصحاب ابن عربي المنتمين إليه روحيا من أهل اليمن الشيخ عبد اللطيف بن محمد بن إبراهيم الواسطي وقد سعى إلى مكة لغرض الحصول على نسخة كاملة من كتاب الفتوحات المكية وكان قد (سافر من مدينة زبيد إلى مكة المشرفة على قدم التجريد لا يملك شيئاً من المال ثم أنه حصله بخطه

(١) الزجاجي : هداية السالك (مخطوط) .
(٢) المصدر السابق .

في سنة واحده)(١) .

ولا نجد فيما اوردناه من تراجم هؤلاء مايوحي لنا بمشاركتهم في تعاليم ابن عربي من خلال الكتابة والمناقشة ، وكل مافي الأمر لايعدو تأييد أن يكون شكليا لفكر ابن عربي والتقرب إليه عن طريق اقتناء كتبه واظهار الاعجاب بشخصيته كما اسلفنا سابقاً ولعل بعد هؤلاء عن المشاركة في تراث ابن عربي يعود إلى سببين رئيسيين لا ثالث لهما إما لقصور افهامهم عن استيعاب ماوصل إليه ابن عربي من أفكار فلسفية معقدة واحيانا مضطربة .. وأما تحاشيا من غضبة الفقهاء نحوهم وخاصة وأنهم عاصروا شدة نفور الفقهاء واظهار الانكار عليهم : وقد رأينا ابن الرداد وهو في مركز القوة (حيث تولى زمام القضاء العام) يساهم بما يشبه المشاركة في تعاليم ابن عربي حيث عدله ابن الاهدل عدة مسائل نحا فيها منحى ابن عربي كقوله (بجواز اتصاف العبد بصفات ذات الحق تعالى)(٢) وقوله (بقدم الفقر واتصافه بصفات الازلية)(٣) ومن مسائله ايضاً (تحقير قول لااله الا الله)(٤) بل نجد له رسالة مفرده عالج فيها مسائل الصوفية بكل شجاعة(٥) .

ويقول ابن حجر (شعر ابن الرداد ينعق بالاتحاد وانه افسد عقائد كثير من الناس)(٦) .

وكان ابن الرداد حين رأى عجز فريق الصوفية عن مجابهة الفقهاء اضطر إلى ان ينوب عنهم بعد أن ضمن لنفسه اكبر سلطة يمكن ان تحكم عليه وهي سلطة القضاء الاكبر وهكذا كتب ابن الرداد مؤلفاته تلك وهو في شجاعة تامة .

(١) المصدر السابق (مخطوط) .
(٢) ، (٣) ، (٤) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .
(٥) السخاوي : الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ .
(٦) ابن حجر ابناء الغمر ج ٣ ص ٢٧٨ .

أسباب انتشار فكر ابن عربي خلال هذه الفترة

على الرغم من عدم وجود العلماء المتجنين من مدرسة ابن عربي فقد حظى تراثه في اليمن باقبال كبير . وقد ألمحنا فيما سبق إلى إنتشار تعاليم ابن عربي في مدينة زبيد خلال القرن الثامن والتاسع حتى أصبحت كتاباته مشاع لكل طوائف الصوفية باليمن بما فيهم أولئك العوام الذين ارتكبوا هفوات يبرئ منها الصوفية أنفسهم ولا تعليل لذلك سوى هذا الإقبال الشامل الذي لقيه فكر ابن عربي .

ولقائل ان يقول ما السر في انتشار تعاليم ابن عربي وكثرة انصاره خلال هذه الفترة من دون غيرها من الفترات مع تصدي الفقهاء لهم ومضايقتهم في أكثر الاحيان . وهذا السؤال أول مايتبادر إلى الذهن حينما ندرك ذلك النزاع الشديد بين الفريقين اثناء هذه المرحلة .

على انى ساحصر أسبابه في أمرين رئيسيين : ـ

أولهما : كثرة الوافدين إلى مدينة زبيد واليمن عامة خلال العصر الرسولي بما يحمله أولئك من نحل وأفكار مختلفة وقد أثروا في صور دراويش وزهاد متنسكين فاعتقدهم العامة وأصبحوا موضع احترام حتى إذا تمكنوا من نفوسهم بثوا فيهم الأفكار الصوفية بما فيها تلك العقائد الفلسفية ومن هنا جاء قبول العامة للتصوف وانتشاره بمدينة زبيد وسنرى في فصل مستقل كيف كان أثر هؤلاء القادمون على الحياة الصوفية في اليمن وتحبيذهم لتعاليم ابن عربي وغيره من صوفية الفلاسفة الإسلاميين

ثانيا : ذلك الانفتاح التام الذي عرفته هذه الفترة ووجود الحرية الكاملة في استيراد شتى الثقافات وقد غصت زبيد في عصرها الذهبي خلال حكم بني

رسول بكثير من الأفكار التي تحملها الكتب المختلفة الاتجاهات بما فيها كتب ابن عربي وأتباعه وقد ذكر الاهدل جماعة من الصوفية الذين استقدموا كتب ابن عربي من بلدان مختلفة واعتنوا بها العناية التامة أمثال المزجاجي الذي يقول عنه ابن الاهدل ـ حصل كتب هذه الطائفة ـ أي إتباع ابن عربي لقوته على ذلك باليسار فحصل الفصوص وشروحه والفتوحات المكيه وغير ذلك من كتب تلك الطائفة فأولع الصوفية بمطالعتها) على ان المزجاجي يعترف هو نفسه باقتناء هذه الكتب ويذكر ذلك في معرض كلامه مفتخرا كذكره قصة حصوله على نسخه كامله من كتاب الفتوحات المكية ودخولها مدينة زبيد يقول اثناء حديثه عن الواسطى السابق الذكر (وكنتُ قد حصلت نسخة كاملة بمدينة زبيد من كتاب الفتوحات وجدتها عند الفقيه شهاب الدين أحمد الفارسي)[٢] .

ولم ينحصر إقتناء كتب ابن عربي على فئة الصوفية وحدهم بل نجدها في خزائن ملوك بني رسول وقد ذكر المزجاجي أنه توجد نسخة من (الفتوحات المكية) بمكتبة السلطان الناصر بخط مؤلفها يقول في حديثه عن المراغي (وقد حصل من الفتوحات نسخه جيده لنفسه ثم قابل النسخة وضبطها واجتهد فيها غاية الاجتهاد واتفق لنا وله نسخة من الفتوحات المكية من مولانا السلطان الملك الناصر اعارنا أياها لتقابل عليها من الخزانة المعموره وعلى اجزاء منها خط المصنف الشيخ ابن عربي)[٣] ويؤيده في هذا الصدد معاصره الشيخ المرشد إبراهيم ابن عبد القادر القارى البغدادى الذى زار اليمن وذكر (أنه اجتمع في خزانة الناصر على مايلفى من مصنفات الشيخ ابن عربي مالم يجتمع في خزانة غيره من

---

(١) الاهدل ، تحفة الزمن (مخطوط)

(٢) المزجاجي : هدية السالك .

(٣) المصدر السابق .

آبائه السلاطين المتقدمين كالاشرف والافضل والمجاهد والمؤيد والمظفر والمنصور)[1] .

ثم طغت موجة كتب ابن عربى فى مدينة زبيد وأصبح الناس يجدونها فى الاسواق تباع وتشترى — كما يقول ابن المقرى مخاطبا فقهاء عصره

تباع وتقرى هذه الكتب فيكم وأنتم سواء والذى فى المقابر[2]

(١) القارى مناقب ابن عربى ص ٦٤ .
(٢) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ١٤ .

النزاع بين الفقهاء والصوفية فى اليمن

نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية خارج اليمن

كان القرن الثالث الهجرى عصر الثقافات وازدهار العلوم الإسلامية وفى نفس الوقت كان زمن منافسة وجدال عنيف بين أصحاب المذاهب والفرق الطارئة على الاسلام وقد اشتهر فى هذا الوقت جدال علماء المسلمين الزنادقة وأصحاب الديانات المختلفة .

وقد خفت حدة النقاش بين المذاهب الإسلامية نفسها لضرورة التعاون الكل أمام التحديات السافرة من قبل أصحاب الاديان الأخرى فى حين كان من المحتمل أن يكون هناك صراع بين تلك المذاهب الإسلامية نظراً لانها كانت فى طور النشأة والمصارعة من أجل البقاء .

ومع ذلك لم نجد هناك نزاعاً عنيفاً إلا ما كان يدور حول مسائل فرعية بسيطة لا تؤدى فى كثير من الاحيان إلى احتكاك شديد .

ومن هذا النقاش ماجرى فى ذلك العصر بين الصوفية وأهل السنة وهو أول صراع يدور بين هاتين الطائفتين وقد تزعم ريادته طائفة الحنابلة الذين عرفوا بكفاحهم الشديد حول العقيدة الإسلامية .

وكان الإمام أحمد بن حنبل المنسوب إليه هذا المذهب هو أول شخصية فى الاسلام تنبهت لشطط الصوفية وانحرافهم وقد رأيناه يتهم بعض المنتمين إلى المذهب الصوفى ويصمهم بالخروج عن الدين نهائيا ويقال أنه لما سمع المحاسبى — احد الصوفية فى عصره — يتحدث فى شىء من علم الكلام والصفات هجره.

فاختفى المحاسبى فى بيته إلى أن مات وكان ابن حنبل يقول (احذروا من الحارث – يعنى المحاسبى – أشد التحذير وكان يقول لأصحابه بعد أن سمع بعض كلامه لا ارى لكم ان تجالسوه(١) .

وهكذا كان الإمام أحمد بن حنبل أول من آثار النزاع بين الصوفية والفقهاء ثم تتالى بعد ذلك الانكار على هؤلاء من قبل العلماء ففى مصر انكر الإمام عبد الله بن عبد الحكم المتوفى ٢١٤ على ذى النون المصرى فهجره بذلك علماء مصر لما شاع أنه احدث علما لم يتكلم به السلف حتى رموه بالزندقة(٢) .

وفى دمشق نفى أبى سليمان الدارنى حين سمع منه أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه وكذلك هرب أحمد بن أبى الحوارى لما شهد عليه القوم أنه يفضل الأولياء على الانبياء(٣) .

ويستمر هذا الحال بالنسبة لسائر البلاد الإسلامية كبغداد والاندلس والمغرب وغيرها .

على أن مبتدأ إنكار الفقهاء على الصوفية يرتبط أساسا بتلك الأفكار التى احدثوها مما جعلت العلماء المتمسكين بالشريعة يرون فى أفكارهم الفلسفية خطراً يهدد حمى الدين وحتى لاينخرط الزمام وتصبح أصول العقيدة الثابتة لكل من هب من عامة الصوفية والمتدسين فيهم يتلاعبون بها وفق خواطرهم وهواجسهم

وقد نمات هذه الحادثة فى التصوف أو الأمر على يد الحارث المحاسبى فى القرن الثالث الذى استعمل فى بعض كتبه مصطلحات الديانة المسيحية

(١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٣) نفس المصدر .

(مما يدل دلالة واضحة على تأثره بالنصرانية)(١) .

ثم ظهر بعده جماعة من الصوفية تكلموا فى التوحيد والعقائد فخلطوا فيها واثاروا عليهم حفائظ العلماء حتى كان منهم ما كان ويقال أن أول من تكلم فى علم العقائد والتوحيد من الصوفية هو أبو الحسن السرى المتوفى سنة ٢٥٣ هـ الذى يقال أنه أول من تكلم فى المقامات والأحوال وكذلك أبا حمزه محمد بن ابراهيم الصوفى المتوفى سنة ٢٧٠ هـ الذى كان أول من استحدث مصطلحات الصوفية المستعملة عندهم ثم تتابع جيل الصوفية من المتفلسفة حول خاطراتهم الصوفية فظهر فيهم صوفية كبار طوروا هذا المذهب أمثال أبو يزيد البسطامى الذى احدث لفظة (السكر) وأبو سعيد الخراز الذى كان أول من تكلم فى (الفناء) وحمدون القصار الذى ابتدع طريق الملامه وعنه انتشر مذهب الملامتية فى نيسابور وغيره كثيرون .

حتى أن هؤلاء الصوفية نجدهم قد خرجوا عن طريقهم الأول التى هى مراقبة سلوكهم مع الله والخوف منه مع رغبة خالصة فى العبادة والزهد وقد تحولوا من كل هذا إلى فلسفات ومناهج تكاد تخرجهم عن سنن الدين الواضح ، هذا مع أنه (لم يكن فى مذهب أولئك القوم أول أمرهم شىء من مذاهب الذين جاؤا بعدهم)(٢) .

وإذا تحققت هذه المسألة فلا غرابة أن يتشدد بعد ذلك الفقهاء على الصوفية باعتبار انهم قد خرجوا عن القاعدة الشرعية فكان منهم ما كان حتى وصلت المسألة ذروتها بمقتل الحلاج وما حدث بعد ذلك فى أمره من نزاع ومعاده لانحب أن نخوض فيها لشهرتها ويكفى أن نشير إلى مقدمات جرت الفقهاء فى

(١) ادم متز الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ، هذا قوله ولعل فيه بعض التجنى على هذا الإمام الجليل فيجب التحقق من هذه التهمة فى كتبه .
(٢) المصدر السابق

امتحان الصوفية وكانت سببا رئيسيا فى تطور النزاع بينهما . وقد شهد القرن الثالث أول بوادر هذا الشقاق وهو القرن الذهبى بالنسبة لازدهار التصوف ونشأته ففيه ظهر كبار مشائخهم المرجوع إليهم ومع ذلك لم يكن بعرج الصوفية وإلهاماتهم مما ينخدع له الفقهاء فقد قدمنا فيما سبق أنهم انكروا على المحاسبى وذى النون المصرى والدارنى وغيرهم بعض من سلوكهم الصوفى وهؤلاء هم الجيل الأول من الصوفية الذين سلكوا النهج الفلسفى فى تصوفهم وقد عاصرهم جماعة من الصوفية لقوا نصيبهم من المعارضة فهذا أبا يزيد البسطامى كان يقول لى معراج كما كان للنبى (ص) معراج فذكر ذلك الفقيه حسين بن عيسى ، فأمر بإخراجه من بسطام وظل مختفياً فى مكة حتى توفى هذا الفقيه ومن أوائل الصوفية الذين تعرضوا للمحنة سهل بن عبد الله التسترى الذى لقى من الناس مضايقة إلى أن اضطروه إلى الهجرة من مدينته وغيرهما كثير ويكفى ان نعلم ان بوادر النزاع بين الفريقين قد حدثت عند استكمال الصوفية تعاليمهم الفلسفية خلال القرن الثالث فكان (أهل السنة المتمسكين بالنزعة القديمة (السلفية) ينكرون على الصوفية تقديس الأولياء فى حين كان هؤلاء يزدرونهم ويشنعون عليهم بأنهم مشبهة حشوية)[1] . وكلما تطور الصوفية فى علومهم كلما اتسعت هوة الشقاق بين الفريقين وقد خلف لنا التاريخ الإسلامى أحداثا كثيرة فى ذلك لا أرانى فى حاجة إلى ذكرها إذ الموضوع من الضخامة بحيث يستحق ان يفرد ببحث مستقل ومع ذلك فسأتابع هنا هذه الناحية من زواياها الرئيسية لنعرف كيف واصلت الخصومة سيرها حتى انتهى بها المطاف إلى اليمن عند قوة الصوفية وضعف الفقهاء أو العكس .

وسيذكر تاريخ النزاع بأسماء أعلامه من الفقهاء الذين تصدوا الرد على الصوفية وعلى رأسهم الفقيه الجليل المحدث الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ الذى لمحنا فيما سبق إلى شىء من نزاعه مع المحاسبى وإنكاره عليه وتلاه جماعة من المنكرين على الصوفية منهم أولئك النفر الذين افتوا بقتل الحلاج وتلميذه

(1) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨ .

ابن الدامغانى ويذكرون من هؤلاء الفقيه أبا عمر القاضى وهو أول من أفتى بقتل الحلاج وشاركه فى هذه الفتوى داود الظاهرى وجماعة من فقهاء القرن الثالث بل لم يقتصر الأمر على الفقهاء وحدهم فقد تعداهم إلى طائفة الصوفية أنفسهم من المتدانين الذين استهجنوا تلك الأفكار الشاطحة من قبل الحلاج واضرابه أمثال الجنيد الذى يقال أنه كان من ضمن المفتين بقتل الحلاج والصوفى عمرو بن عثمان وابن سريج وغيرهم[1] .

ويعلل ابن الأهدل فى القرن التاسع مسلك أولئك الرواد من المفكرين على الصوفية فى القرن الثالث الهجرى بقتلهم الحلاج فيقول (لا شك أن من شهد الواقعة وعلم القصة فهو أعرف بالحال من المتأخرين فلولا أن الذين شهدوا الواقعة تحققوا حاله وثبت على الوجه الشرعى ما يقتضى القتل ما قتلوه ولا صلبوه معاذ الله أن يظن ذلك بعلماء الشريعة على رؤوس الأشهاد فكان ذلك إجماعا وصوابا فلا ريب فى تكفيره[2] .

ويأتى هذا الكلام بقصد قطع الأقاويل التى ترى تسرع الفقهاء فى ذلك الوقت بقتل الحلاج وقد جاء مثل هذا القول فى كلام المتأخرين من الصوفية وبعض الفقهاء .

على أن بدعة الحلاج قد انتشر شأنها وأخذت فى التفشى إلى أن وصلت أقاصى المغرب ولم تعد محصورة فى نطاقها الشرقى إذ وجدنا هذه المدرسة توصل جذورها فى الأندلس من خلال جماعة من معتنقى المذهب الحلولى فى القرن الرابع الهجرى أمثال ابن مسرة الذى اقتبس منه ابن عربى مذهبه الفلسفى منذ مدة مبكرة . وكان ظهور المنكرين من الفقهاء ضرورة حتمية أمام التوسع الفلسفى الصوفية

(1) الأهدل: كشف الغطاء ص ٢٤٩

(2) المصدر السابق ص ٢٥٠ .

فى تلك الاصقاع فكان بزوور الفقيه اللغوى محمد بن الحسن الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ كمنكر واظهار ذلك فى كتابه المسمى (هتك ستور الملحدين)(١) الذى رد فيه على فلسفة ابن مسرة بـ .... بداية حسنة تعطينا دليلا قاطعاً على إنكار الفقهاء فى تلك الاصقاع على الصوفية ولا أغالى إذا قلت أن كتاب الزبيدى هو أول مؤلف خصص فى الرد على الصوفية وفلسفاتهم النظرية .

وهكذا نرى أن محنة الصوفية بالفلسفة قد عمت جميع الأوساط الاسلامية شرقيها وغربيها وما صاحب هذه الفلسفة من إنكار وتتبع من قبل الفقهاء الذين لم يسلموا لهم نظرياتهم حتى لانكاد ننتهى إلى العصور المتأخرة (القرن السابع وما بعده) إذ يطالعنا جمهور كبير من المنكرين كل منهم قد أخذ بجانب من الرد على الصوفية وقد ساعد على ذلك ظهور مؤلفات ابن عربى وانتشارها بين أيدى الناس فكان من السهل الوقوف على أدق نظرياتهم بعد أن كان جيلهم الاول يتخفى بها ويرى التباعد عن العلماء خشية من الاحتكاك معهم فى قضايا كلامية تجعلهم فيما هو أشد ومن هنا جاء ذلك الحشد الكبير من العلماء المنكرين على الصوفية الذين قامت شهرتهم على هذه الناحية لعل أشهرهم العلامة تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ومن تلاه من تلامذة هم فى الحقيقة مغترفون من بحره وابن تيمية يعتبر مدرسة قائمة بذاتها فى نقد الصوفية

(١) أنظر مقدمة تحقيق (كتاب الواضح فى علم العربية) الزبيدى تحقيق أمين على السيد ص ٣٢ ومن الفقهاء الذين ناصبوا اتباع ابن مسرة العداء وردوا عليهم الفقيه محمد بن يبقى بن زرب المتوفى سنة ٣٨١ هـ يقول من ترجم له (تتبع أصحاب ابن مسرة الاستتابة من يعتقد مذهبه وأحرق ما وجد عندهم من كتبه ووضع كتابا فى الرد على ابن مسرة ونقض آرائه (الأعلام ج ٧ ص ٣٦٠) وحول موضوع ابن مسرة وقيام الفقهاء ضده فى الأندلس يراجع كتاب (شيوخ العصر فى الأندلس) للدكتور حسين مؤنس ص ٦٣ — ٦٥ ..

وكانت منهلا رئيسيا لكل من تصدى للرد على هذه الطائفة بما فيهم علماء اليمن الذين عنوا بالرد على الصوفية . والمتأمل لكتابات هؤلاء فى هذا الصدد يجد أثر ابن تيمية واضحا عليهم . حتى أن هذا الاعتماد الكلى كان دافعا لأحد صوفية اليمن إلى القول بأن المنكرين على الصوفية ليسوا إلا تبعاً لابن تيمية يقولون بقوله ويوافقون على الخطأ والصواب(١) بل إن هذا الصوفى — وهو العلامة محمد بن محمد المزجاجى — يرجع مبتدأ الانكار على الصوفية إلى هذا الرجل(٢) أعنى به ابن تيميه وهو قول فيه بعض الغلو ومجانبة الحقيقة اذ نجد الإنكار على الصوفية يعود الى ما قبل عصر ابن تيمية بزمن طويل كما أسلفنا ذلك فيما سبق .

وقد تركزت نظرية ابن تيمية فى نقد الصوفية على دراسة مؤلفات ابن عربى وتفنيد محتوياتها المخالفة وهو الذى أثار عليه قضايا رئيسية رددها كل من أتى من بعده من المنكرين على الصوفية فكان العلامة ابن تيمية أول السابقين بكشفها .

ثم تبع ابن تيميه رعيل آخر من المنكرين منهم من أدركه وأخذ عليه كالعلامة محمد بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ وإسماعيل بن عمر ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ ومحمد بن أبى بكر ابن القيم الجوزى المتوفى سنة ٧٥١ هـ(١) ومنهم من

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .
(٢) المصدر السابق (مخطوط) .
(٣) تراجع هذه المسائل التى أثارها ابن تيمية فى كتبه التى خصصها فى الرد على ابن عربى ككتابه (الطريق الأقوم فى الرد على نصوص الحكم) و (الفرقان بين أوليا الرحمن وأولياء الشيطان) وفتاواه المختلفة .
(٣) من الغريب أن يأتى أكثر المنتقدين على الصوفية من المذهب الحنبلى فكأنهم بهذا المسلك قد قلدوا إمام مذهبهم الذى كان أول من انتقد الصوفية ولا غرابة فى ذلك فالحنابلة كما يقول الدكتور عدنان زرزور (تضيق صدورهم بمن عداهم من أهل المذاهب الأخرى) انظر كتاب (الحاكم الجشمى) ص ٤٧ .
وحول هذه المسألة يراجع بحثنا المخطوط بعنوان (ثورات الحنابلة) .

تأخر عصره عنه إلا أنهم فى عمومهم يحومون حول السبيل الذى حام حوله ابن تيمية وسنفصلهم فيما يلى .

ففى القرن الثامن — وهو القرن الذى تلا جيل ابن تيمية — انفجرت معركة حامية الوطيس بين الفقهاء والصوفية فى مصر والشام وذلك كنتيجة حتمية للافكار التى بثها ابن تيمية فى التأليب على الصوفية . ونبغ فى هذا العصر أفذاذ من الفقهاء كان لهم دور رئيسى فى جدال الصوفية وموقف لا ينسى وسنقدر أهمية هذا الموقف وبعده العميق إذا أدركنا أن هذا العصر كان يمثل انتصار الصوفية على الفقهاء ورجحان كفتهم فى نزاعهم معهم الذى سيكون بداية عهود آمنة للصوفية يمارسون فيها شتى شعاراتهم بعيدا عن إنكار الفقهاء وإقلاقهم ، ومع ذلك فقد كان لمدرسة الحديث التى أحيا رسومها العلامة أحمد بن على بن حجر فى القرن التاسع فى مصر والشام أثر فى عودة الناس إلى الكتاب والسنة ونبذ البدع التى طرأت على المتمدينين من أهل هذا القرن وقد نبغ على يديه جماعة من المنكرين على الصوفية الذين تشبعوا بتعاليمه ومنهجه فى العودة بالناس إلى الأصول الإسلامية الأولى ومن هنا جاء نفر من التلامذة الأقوياء فطبقوا فكر شيخهم فى الانكار على الصوفية كالعلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥ والعلامة عمر بن رسلان البلقينى المتوفى سنة ٨٠٥ هـ وعبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وغيرهم كثير إلا أن هؤلاء كانوا أشهر من اعترض على الصوفية وكانت كتاباتهم مصدر قلق شديد للصوفية وقد تصدوا للرد عليهم فى أكثر من مناسبة من ذلك أنه لما اشتهر مؤلف البقاعى فى الرد على الصوفية المسمى (تنبيه الغبى بتكفير عمر بن الفارض وابن عربى) أثار هذا الكتاب المتصوفة فأخذوا ينظمون فى ذمه المقطعات الكثيرة وقد انتشرت حتى أصبحت تقال بين العامة كقول المنصورى ، أحد شعرائهم ، :

إن البقاعى بما قد قاله مطلب
لا تحسبوه سالما فقلبه يعاقب

وهو فى هذه الأبيات يشير إلى تلك الخصومة التى وقعت بين البقاعى وأحد مريدى ابن عربى وهو الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن التاج الذى كان من كبار أتباع ابن عربى ومناصريه حتى وصفه أحد معاصريه (بأنه كان يطوف بكلام ابن عربى على المجالس وفى الأسواق ويصرح باعتقاده بل قيل أنه صنف فى إيمان فرعون وكذا رد على البقاعى)[1] .

وما تلك الخصومة التى جرت بين الرجلين سوى مثال بسيط لتلك المجادلات التى عمت أوساط المثقفين خلال القرن التاسع وما بعده وقلما يخلو عالم من الخوض فى هذه المسألة حتى إننا نجد العلامة شمس الدين السخاوى من أهل ذلك القرن يعيب على كثير من الذين ترجم لهم[2] تأييدهم لابن عربى والمشاركة له فى علومه فى حين يذكر الذين أنكروا عليه بالثناء والتقدير ولا غرابة فى ذلك فالرجل كان من أبرز العلماء الذين أنتجتهم مدرسة ابن حجر العسقلانى وهو نفسه قد وضع كتابا حافلا فى الرد على ابن عربى[3] .

وهكذا انتشرت قضية ابن عربى وأصبحت مما يؤرخ له بالسنين . يقول ابن إياس فى حوادث سنة ٨٧٥ (وفيها نشبت بين العلماء معركة فى أمر ابن الفارض وابن عربى كانت حامية الوطيس إذ ألفت الكتب ووضعت المصنفات فى تفسيقه بل تكفيره لمخالفته ظاهر الشريعة كما ألفت كذلك كتب فى الدفاع عنه ودحض

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع ج٥ ص ١١١

(٢) فى كتابه الضوء اللامع السالف الذكر .

(٣) عنوان هذا الكتاب هو (القول المنبى عن ترجمة ابن عربى) وسيأتى ذكره فيما بعد .

كلام المعترضين عليه والمكفرين له) ومن الذين نقضوا عليه فى هذه السنة برهان الدين البقاعى وابن الشحنة وغيرهما كثير ومن مؤيديه والمنصفين له الشيخ زكريا الانصارى والشيخ الجلال ابن الكمال الاسيوطى وغيرهما . وذكر ابن أياس كتبا فى الرد على من انتقد عليه ككتاب قمع المعارض فى الرد على من انتقد ابن الفارض السيوطى ودرياق الافاعى فى الرد على البقاعى لبعض العلماء ومؤلف آخر للبدر ابن الغرسى)(١) .

وفى هذا النص نجد دليلا حاسما على أن مسألة ابن عربى أصبحت من القضايا الهامة التى شغلت الرأى العام خلال القرن التاسع مما دفع العلماء المحافظين إلى الخوض فيها بكل قواهم .

على أن هذا القرن كان بمثابة الانتفاضة الأخيرة فى وجه الصوفية ولم تعد تشهد ذلك التكتل المشهود الذى يقوم به العلماء ضدهم وذلك بعد أن طفت موجة التسليم للصوفية والاستحسان لتعاليمهم بما فيها تلك العقائد (الشاطحة). وكان القرن العاشر والذى يليه هو عصر سلطة الصوفية وتقديس العامة لهم وقد اشتد نفوذهم على أثر احتضان ملوك آل عثمان (٢) لتعاليمهم فلم يظهر هناك صوت يذكر فى الإنكار على الصوفية حتى انتهى بهم الأمر إلى التمادى فى رسومهم الصوفية والايغال فى فكر ابن عربى دون خشية من سلطة الفقهاء وغيرهم .

---

(١) ابن إياس – بدائع الزهور ج ٣ص ٤٧ . (نقلا عن كتاب الأدب الصوفى فى القرن السابع) لصافى حسين ص ١٠٤ .

(٢) يقول بلاسيوس (زاد سلاطين آل عثمان الاجلال لابن عربى إذ نسبوا الى بركاته وشفاعته الفضل فى جميع ما ظفروا به من انتصارات وخصوصا فتح القسطنطينية واعتقدوا ان ابن عربى تنبأ بهذا الفتح لهذا فان سليم خان أمر ببناء مسجدا باسمه وبناء مدرسة كبيرة على ضريحه) . انظر كتاب ابن عربى: حياته ومذهبه ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٩٥.

« نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية فى اليمن »

يتضح لنا مما سبق أن النزاع بين الفقهاء والصوفية كان أمرا شائعا عرفته المجتمعات الاسلامية من قبل ، وليس ظاهرة انفرد بها الفكر اليمنى وحده ففى الشام ومصر كان امره أقوى مما عليه فى اليمن وخاصة أثناء الفترة التى سبقت النزاع فى اليمن بمدة قصيرة حيث نجد ابن تيمية قد اذكى جذوة الشقاق إلى أن تحولت المسألة من جدال فكرى إلى حادثة تاريخية تحدثت عنها كتب التاريخ .

ولكن كيف كان أمر النزاع بين الفقهاء والصوفية فى اليمن وهل أتى ذلك دفعة واحدة أم له أصول تاريخية قديمة تدرج عنها حتى انتهى المطاف إلى ما انتهى إليه ، هنا يحتم علينا البحث قبل الدخول فى تفاصيل هذا النزاع أن نعرض سريعا للأصول العقائدية التى عرفتها اليمن قبل نشأة الصراع والتى تفرعت عنها المذاهب الدينية . وسندرك أهمية هذه المذاهب بالنسبة للصوفية عندما نعلم أن بعضها كان يقف موقف الخصم لكل المذاهب الطارئة على الاسلام بما فيها التصوف وعلى رأس هذه المذاهب جميعها المذهب الحنبلى الذى كان لاتباعه دور فعال فى مناهضة الصوفية إلا أنه من الحقائق التاريخية المسلم بها أن اليمن قد شهد ذلك المذهب منذ مدة مبكرة(١) بواسطة جماعة من معتقديه الذين دخلوا

---

(١) يقول المؤرخ بامخرمة فى نقله عن الجندى والخزرجى (الغالبُ على فقهاء جبال اليمن فى عصر الجندى وماقبله اعتقاد مذهب الحنابل وأما فى عصر الخزرجى فقد انتقل اعتقاد بعض الفقهاء الى مذهب الاشعرية لكنهم لايتظاهرن بذلك خوفا على أنفسهم من جهله بلادهم . يقول بامخرمة: واعلم أن علماء اليمن لم يكونوا يوافقون الحنابلة فى جميع معتقدهم من التجسيم وغيره فهم يوافقونهم فى القول والصوت والحروف ومن وقف على مؤلفاتهم فى أصول الدين لم يتوقف فى ذلك وأما اليوم فجميعهم أشعرية ومتظاهرون بذلك فلله الحمد والمنة) عاش المؤرخ بامخرمة فى القرن العاشر الهجرى .

اليمن فى القرن الثالث أمثال العلامة الحسين بن جعفر(١) المراغى وغيره .

على أن هذه المذاهب قد شهدت نقاشا عنيفا فيما بينها رأينا ذلك واضحا فى أكثر من حادثة كتلك التى وقعت بين العلامة يحيى ابن أبى الخير العمرانى المتوفى ٥٥٨ هـ وبين العلامة المتكلم جعفر بن أحمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقد أسفرت المناقشة عن مؤلف جيد لابن أبى الخير العمرانى ضمنه الرد على ابن عبد السلام وهو بعنوان (الانتصار فى الرد على القدرية الأشرار) رد فيه على كتاب ابن عبد السلام المسمى (الدامغ للباطل من مذهب الحنابل)(٢) هذا من حيث الجدال بين المذهب الحنبلى والمذهب الزيدى أما من حيث الجدل بين المذهب الحنبلى والمذهب الأشعرى فقد مثل هذه الحادثة العلامة ابن أبى الخير العمرانى السابق الذكر وابنه طاهر الذى كان يعتقد المذهب الأشعرى وكان بينهما جدال عنيف كان سببا فى هجر الابن والده والذهاب إلى مكة(٣) ودونك هذا الانتماء القوى الذى يفرق بين الابن وأبيه على أن الغلبة كانت فى النهاية للأشعرية(٤) . ولم يعد للحنابلة شأن يذكر فى اليمن .

وهكذا كان الجدال بين المذاهب الاعتقادية فى اليمن سببا رئيسيا لاشغال العلماء عن الصوفية ردحا من الزمن حتى لم تكد تنتهى المعمعة ويفرغ الفقهاء

---

(١) توفى سنة ٣٢٤هـ انظر ترجمته فى طبقات فقهاء اليمن لابن سمره ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠ وانظر حول مناظرة العمرانى لابن عبد السلام . كتاب (السلوك) للجندى (ومطلع البدور) لابن ابى الرجال

(٣) الجندى : السلوك . ويقول البريهى فى تاريخه انه لما اظهر طاهر العمرانى العقيدة الاشعرية أجمع الفقهاء فى الانكار عليه وكان من ابرزهم الفقيه احمد إبراهيم البريهى الملقب بسيف السنة .

(٤) انظر ماجاء فى الهامش رقم (١) من الصفحة السابقة .

لأنفسهم إذا بهم يجدون الصوفية بين ظهرانيهم يمارسون من المسائل الاعتقادية ماهو أشنع. فما كان منهم إلا أن أعادوا الكرة واتفقوا فى ما بينهم لمواجهة القوم وقد اتحد أشعريهم مع حنبليهم مع زيديهم فكان هذا النموذج المتجانس من الردود التى صبغت النزاع بطابع محبب وكانت سببا فى وجود الفرقة بين الجانبين فالفقهاء قد أشهروا الأفكار فى وجوه الصوفية وتوغلوا فى ملاحقتهم كتابيا حتى كان ذلك مصدر نهضة فكرية عظمى خاض غمارها جماعة من علماء اليمن سنجدها أولا فى كتابات أهل القرن الثامن وهو عصر النزاع بين الفريقين .

وهذه الكتابات تحتاج إلى دراسة مستقلة لما انطوت عليه من قضايا تاريخية وأخرى فكرية ستكون مرجعاً شاملا لمن يريد التوسع فى معرفة المجادلات الفكرية فى البلاد .

على أنى سأكتفى باستعراض المؤلفات دونما حاجة إلى الايغال فى دراستها إذ بعض هذه المؤلفات لا يعطينى الفرصة فى الحديث عنه بتوسع لعدم وجوده بحوزتى الآن فان أقدم مؤلف فى هذا الشأن — فيما أرى — يعتبر من الكتب المفردة وهو كتاب (نصيحة المتكلفين وفضيحة المتكلفين)(١) . للفقيه محمد بن موسى الذوالى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ وهو فى الرد على الصوفية وبيان تكلفهم فى أمور العبادة وقد كان هذا العلامة أول من أشهر(٢) الإنكار على

---

(١) ذكره الخزرجى فى كتابه طراز أعلام الزمن (مخطوط) .

(٢) لعل أول من كتب فى الرد على الصوفية من اليمنيين هو المؤرخ والفقيه محمد ابن يوسف بن يعقوب الجندى المتوفى ٧٣٢ هـ الذى ينسب له السخاوى نص فتوى فى شأن الطائفة الصوفية أوردها فى كتابه (القول المنبي عن ترجمة ابن عربى) ومما يؤيد هذه النسبة اليه تشنيعه الشديد على الصوفية في كتابه (السلوك فى طبقات العلماء والملوك) من ذلك قوله (ان ابن عربى له معتقد غريب منه اعتقاده ان فرعون مات على الاسلام عفق وغير ذلك مما هو مشهور عنه فى كتبه وانكره اعيان الفقهاء) .

الصوفية بالكتابة وكان أكثر الجدال المستحر بينهم قبل الذوالى جرى بواسطة المناقشات والجدال الكلامى لا غير وهذا العلامة نجد ترجمته عند الكثير من مؤرخى اليمن[1] إلا أنهم لم يذكروا شيئا عن نزاعه مع الفقهاء ويبدو أنه كان مستترا فى الإنكار على الصوفية ولم يدخل حلبة الصراع إلا عن طريق قلمه الذى عبر به فى الإنكار دون أن يكلف نفسه مشقة الجدال الكلامى الذى قد يتطلب قوة بيان وفصاحة ، ومع ذلك كان الصوفية يرهبون جانبه وقد ذكر المزجاجى أنه حين صنف كتابه فى الرد على الصوفية أراد أن يعطى مصنفه هذا الخطيب عمر الدملوى[2] ليقرأه على الناس فى المنبر بعد صلاة الجمعة وقد استاء الصوفية من هذا العمل ودعوا إلى الله أن لا يتم ذلك (فحصل فى نفوس أصحاب الشيخ إسماعيل الجبرتى ما حصل وكنت — أى المزجاجى — ممن تأثر من ذلك فلما خرجنا يوم الجمعة لزيارة القبور ورجعنا إلى المسجد خطر لى أن أدخل على سيدى الفقيه على بن موسى الذوالى واعلمه بذلك وذكرت له ذلك فكان جوابه أن قرا قوله تعالى (وليس بضارهم شيئا) فخرجت من عند سيدى وأنا مسرور بهذا الجواب سروراً عظيما فجئت إلى سيدى إسماعيل الجبرتى واعلمته بذلك فسر بجواب الفقيه مع أن سيدى الجبرتى ما كان معه اكتراث بذلك وتأثر منه بل كان ذلك مع الجماعة الأصحاب فلما صلينا صلاة الجمعة بالجامع وكانت نفوس

---

(١) انظر — مثلا — عند الخزرجى فى طراز اعلام الزمن وتاريخ البريهى وتحفه الزمن للاهدل وبغية الوعاة للسيوطي ص ١٠٨ .

(٢) هو عمر بن عبد الرحمن الدملوى . . خطيب جامع زبيد . يقول الخزرجى : كان اوحد زمانه فى الخطابة لم يكن فى عصره مثله فى ناحية من اقطار اليمن اقام خطيبا فى جامع زبيد نحوا من خمسين سنة توفى سنة ٧٩٩ هـ : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٩٥ .

بعض الناس متشوقة إلى ذلك مما قد شاع واشتهر من كلام الفقيه محمد الذوالى فما كان بعد الصلاة من ذلك شىء بل اضمحل ذلك الخبر وخمد فلم تظهر تلك المصنفة بعد ذلك ولا علم لها خبر)[1] ومن هذا النص يتضح لنا تأثر الصوفية بمعارضيهم من الفقهاء — ولا عبرة بقول المزجاجى أن الشيخ الجبرتى (ما كان عنده اكتراث بذلك) فلعله أراد أن يدفع عن شيخه تهمة الخوف من الفقهاء .

والمهم أن كتاب الذوالى كان فاتحة ردود عديدة وضعها بعده مجموعة من العلماء على الرغم من أن الكتاب قد ضاع فى عصر المؤلف (ولم يظهر له علم ولا خبر) كما يقول المزجاجى .

وقد جاء بعده العلامة أحمد بن أبى بكر الناشرى المتوفى سنة ٨١٥ هـ وهو حجة فى نقد الصوفية سنعرض له فيما بعد عند حديثنا عن النزاع بينه وجماعة الصوفية . وكتابه فى انتقاد الطائفة الصوفية بعنوان (بيان فساد مذهب ابن عربى) ركز فيه على عقائده (الشاطحة) وحلل مسائلها . ثم تلاه أبو بكر بن محمد الخياط (توفى سنة ٨١١) وكان أحد الدعامات الرئيسية فى النزاع وقد اشتهر كتابه فى الرد على الصوفية فأقامهم وأقعدهم وتصدى للرد عليه الشيخ مجد الدين الفيروز أبادى فى كتابه (الاغتباط لمعالجة ابن الخياط) فكان هذا المسلك سببا فى لمزه من قبل العلماء . ووصفه بأنه (كان يحب المدارة)[2]

اما وقد دخلنا غمرة النزاع فها هى قد تتالت المصنفات التى تفسر لنا ذلك النوع من الترف العلمى الذى وصل إليه اليمن خلال مرحلته الزاهرة بمدينة زبيد فجاء بعد الناشرى الفقيه محمد بن على بن نور الدين الموزعى المتوفى ٨٢٥هـ وكان من شأنه فى الخوض فى هذه المسألة ما سنذكره فيما بعد وكتابه فى الرد على الصوفية بعنوان (كشف الظلمة عن هذه الأمة) حلل فيه حـال

---

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط)
(٢) ابن حجر العسقلانى : (انباء الغمر) ج ٣ ص ٤٩

ابن عربى)[1] ونقده فى مواضع من كتابه الفصوص يقول الاهدل (أن الموزعى قد سبق فيه الفقهاء بتحقيق حال ابن عربى بمطالعة الفصوص وغيره من كتبه وكتب أصول الدين[2]) ولاندرى مايعنيه به الاهدل من قوله (سبق فيه الفقهاء) فاذا كان يقصد به السبق التاريخى فلاشك أنه تقدم الموزعى بعض الأعمال الرائدة فى نقد ابن عربى كما بينا ذلك سابقا وإذا كان يعنى به (السبق) بمعنى الاجادة والتبريز على من عداه فلاشك فى ذلك وقد كان كتاب الموزعى مصدرا لكثير من الذين تناولوا الصوفية بالرد كما هو الحال عند الاهدل نفسه الذى نقل كثيرا من كتابه)[3] .

ثم كان ظهور ابن المقرى واشتهار أمره فى مقالته بتكفير الصوفية من أتباع ابن عربى حتى كادت هذه الناحية أن تطغى على شخصية ابن المقرى الفقيه الأديب فلا أحد يذكر ابن المقرى إلا برده على الصوفية ومع أنه ترك فى نقد الصوفية مؤلفا مستقلا بعنوان (الرد على الطائفة الصوفية الغوية) إلا ان هذا الكتاب لايكاد يعرف بجانب قصائده السيارة فى تكفير الصوفية التى حفل بها ديوانه ويبدو أن هذا الكتاب قد جمعه من حصيلة السؤالات والجوابات التى كتبت حول شأن الصوفية ولم يعتمد تصنيفه كبحث مفرد .

على أن من آثار ذلك النزاع المحتدم بين الفقهاء والصوفية مؤلفات أخرى لاتزال تحفل بها المكتبة اليمنية وقد ذكر الأخ عبد الرحمن الحضرمى فى قائمة مصادر كتابه (جامعة الاشاعرة)[4] مؤلفا بعنوان (الأقوال الواضحة الصريحة

---

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال صفحة ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢١٨ من كتاب كشف الغطاء

(٤) عبد الرحمن الحضرمى : جامعة الاشاعر ص ٧٢ .

فيما أحدث بوادى زبيد من المناكر القبيحة) للفقيه موسى بن محمد الضجاعى المتوفى ٨٥١هـ ومع أننى لم أطلع على هذا الكتاب إلا أنى أكاد أجزم بأنه من ضمن الكتب التى تناولت الرد على الصوفية لأن الفقيه موسى المذكور كان أحد الذين ساهموا فى النزاع الشهير بين الفريقين فى القرن التاسع وقد وصفه السخاوى بأنه (كان من أكبر القائمين على منتحل مذهب ابن عربى فى اليمن بحيث أنه كان الخطيب فى جامع زبيد بالمنشور المكتوب بالاشهاد على الكرمانى بهجر كتب ابن عربى)[1] .

ومن بصمات الواقعة على المكتبة اليمنية أيضاً مؤلف العلامة الحسين بن عبد الرحمن الاهدل المتوفى سنة ٨٥٥هـ المسمى (كشف الغطاء) الذى يعتبر من الآثار الجيدة التى خلفها الفقهاء فى نقد الصوفية ومؤلفه كان قد أدرك ردحا من الخصومة التى وقعت بين الفريقين فى القرن التاسع وقد صور لنا شيئا منها فى كتابه المشار إليه وكتابه فى التاريخ المسمى (تحفة الزمن) وله مؤلفات أخرى حول هذه القضية سنعرض لها فى موضع آخر من الكتاب[2] على أن الاهدل ما أقدم فى الرد على الصوفية إلا بعد أن عرف حقيقة حالهم وتمرس بأمورهم يقول (لم أزل فى شبيبتى وشيبتى اتصفح مذهبهم من كتبهم وكتب أهل السنة حتى اطلعنى الله على حقيقة مذهبهم وأنه اخبث النحل واكفر الملل)[3] وقد توسع الاهدل فى الرد على الصوفية واعتبرت مؤلفاته فى هذا المضمار آخر الصيحات التى تعالت فى الرد عليهم من قبل الفقهاء أثناء نزاعهم الشهير فى القرن التاسع ، ويحق لنا أن نعتبرها القول الفصل بما تميزت به من استقصاء ومتابعة .

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ج ٩ ص ١٩٠ .

(٢) فى الملحق الخامس بتراجم أعلام النزاع وقد حذفناه بعد تضخم الكتاب .

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٣ .

وقد سكت الفقهاء بعد الاهدل بمدة طويلة ولم نعد نسمع صوت الانكار إلا بعد انقضاء زمن طويل على عصر التصادم فى القرن التاسع سكن خلالها الفقهاء فكف عنهم الصوفية .

إلا أن القرن العاشر بما عرف به من تحرك ملموس فى أمور السياسة والثقافة يعيد لنا سيرة النزاع الأول بينهما وكأن هذا القرن قد عرف شيئا من التصادم بين الفريقين على أثر قيام الامام شرف الدين بحملته السابقة ضد الصوفية. ففى هذا القرن ظهر كتاب الشيخ العلامة عبد الله بن عمر (بامخرمة) المتوفى سنة ٩١٢هـ (حقيقة التوحيد) وقد اطلع على هذا الكتاب المؤرخ يحيى بن الحسين فى القرن الحادى عشر (١) وجاء على أثره مؤلف الشيخ محمد بن يحيى بهران المتوفى سنة ٩٥٧ هـ المسمى (الكشف والبيان فى الرد على متصوفة الزمان) وهو استجابة واضحة لتبرير موقف الإمام شرف الدين فى اضطهاد الصوفية ومع ذلك فإن هذا الكتاب نادرا ما يذكر فى قائمة مؤلفاته وقد أيد نسبته إليه المؤرخ يحى بن حميد المتوفى سنة ٩٩٠ هـ صاحب كتاب (نزهة الانظار) وغيره.

ولكثرة من أتى بعد بهران من العلماء الناقين على نحلة ابن عربى الصوفية نرى أن نعددهم هنا فى هذه القائمة القصيرة مراعاة للاختصار :

١ — يحى بن حميد بن الحسن المقرئى المتوفى سنة ٩٩٠ هـ وله (تعليقات) على كتاب ابن بهران المشار إليه سابقا .

٢ — أحمد بن شايع الدعامى اللوزى المتوفى سنة ٩٩٣ هـ وله مؤلف بعنوان (نصوص العلماء فى تخطئة الصوفية)(٢) وهذا الكتاب يفسر لنا وجهة النظر الزيدية فى معاداتها للصوفيه بصفة عامة .

(١) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط) والاعلام ج ٤ ص ٢٤٩.

(٢) مطلع البدور (مخطوط) وأئمة اليمن لزبارة

٣ — يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ هـ : فى مواضع من كتابه بهجة الزمن (مخطوط) .

٤ — صالح بن مهدى المقبلى المتوفى سنة ١١٠٨ هـ (العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشائخ) يراجع نقده للصوفية فى هذه الموسوعة الضخمة من صفحة ٤٩٠ إلى ٥١٠ .

٥ — أحمد بن عبد الله السلمى المتوفى سنة ١١١٦ هـ له مؤلف فى الرد على الصوفية(١) .

٦ — محمد بن إسماعيل الأمير المتوفى ١١٨٢ له مؤلف مفقود فى الرد على أهل وحدة الوجود بعنوان (نصرة المعبود فى الرد على أهل وحدة الوجود)(٢) وينظر رده على الصوفية أصحاب هذه النحلة فى عدة مواضع من كتبه ككتابه (فتح الخالق شرح ممادح رب الخلائق) وديوانه ص ٣٣٠ .

٧ — محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ له كتاب فى الرد على أهل وحدة الوجود بعنوان (الصوارم الحداد القاطعة لأعناق أهل الاتحاد) وهو جواب على سؤال ورد عليه يقول فى وصفه (أوضحت فيه حال كل من هؤلاء الصوفية وأوردت نصوص كتبهم وبينت أقوال العلماء فى شأنهم وكان تحرير الجواب فى عنفوان الشباب وأنا الآن اتوقف فى حال هؤلاء)(٣) .

والعلامة المقبلى وابن الأمير والشوكانى يغترفون جميعاً من مذهب الإمام محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ فى مسئلة الصوفية وغيرها . وقد أودع شيئاً من ذلك فى موسوعته الكلامية المسماة (العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم) .

(١) زبارة : نشر العرف ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) عبدالله الحبشى : مجلة العرب السنة ٧ ص ٤ ٧٨

(٣) الشوكانى : البدر الطالع ج ٢ ص ٣٤

٨ — وآخر من نذكرهم من الذين عنوا بالرد على الصوفية العلامة أحمد بن محمد الجرافى المتوفى سنة ١٣١٦ الذى ترك فى هذا السبيل مؤلفا بعنوان (الدليل القهار فى الرد على الصوفية الأشرار)(١) .

على أن كتابات المتأخرين لاتخلو من تلميح إلى مسئلة الصوفية وقد كان لمدرسة الشيخ محمد بن سالم البيحانى المتوفى ١٣٩٢ هـ السلفية أثر فى إحياء علوم السنة فى اليمن وله مصاولات ومجالات حول هذا الموضوع نكتفى من ذلك بقوله فى كتابه (أشعة الأنوار على مرويات الاخبار) الذى يرد فيه على الصوفية أصحاب الحلول يقول فى كلامه عن ابن عربى والحلاج (أما ابن عربى فهو الذى ملأ الاذان صيته وانتشر ذكره فهو وحسين الحلاج حالهما مخالف تماما لأحوال المتصوفين فى الاسلام فالشيخان حلوليان ويقولان بوحدة الوجود وفى كتاب الفصوص والفتوحات المكية وغيرهما من كتب ابن عربى ومايروى عنه من الأمور المخالفة للشريعة وكذلك مايروى عن الحلاج من الكفر الصريح كقوله (أنا الله ومافى الجبة إلا الله) فذلك مخالف تماما لتعاليم الاسلام ويستحقان عليه القتل والناس فى أمر الرجلين الحلاج وابن عربى فريقان أحدهما يقر ماكان عليه ويزعم أنهما من أولياء الرحمن والآخر يقول كافران شقيان ومحسوبان من أولياء الشيطان ومن تمسك بالشريعة فى الحكم عليهما فهو ناج إن شاء الله ومن رضى بحالهما وتأول الباطل منهما فهو هالك وسالك بأشر المسالك)(٢) .

ولقائل أن يقول أين كان الصوفية أمام هذا السيل الجارف من الردود وهل فيهم من وقف أمام الفقهاء يعبر عن وجهة فريقه أم تركوا الحبل على الغارب واكتفوا من الغنيمة بالاياب ؟ هنا ندرك أن صوت الصوفية تجاه الفقهاء كان

(١) زبارة : أئمة اليمن فى القرن الرابع عشر ص ٢٨٠ .

(٢) البيحانى . — أشعة الانوار على مدويات الاخبار ج ٢ ص ٢٧٩ .

ضعيفا إلى الغاية من الضعف وأن القلة القليلة منهم الذين تصدوا للرد على الفقهاء كانوا فى حاجة إلى المصدر القوى الذى يدمغ حجج الفقهاء القوية وقد وجدناهم حين أرادوا نقد الفقهاء قد تخبطوا فى معميات من الافتراضات البعيدة التصور واعتمدوا على روايات وحكايات ضعيفة لايسلم لهم بها خصومهم من الفقهاء حتى أن المزجاجى — وهو أول من تصدى للرد على الفقهاء بعد شيخه ابن الرداد أثناء الحادثة — يبنى كتابه على قاعدة واهية هى قاعدة التسليم للصوفية فى كل أفعالهم وأقوالهم ويربط كل ذلك بحسن الظن يقول مخاطبا ابن المقرى (ياأخى إذا كان حسن الظن بحجر جماد ينفع فما ظنك بمن أحسن ظنه بمؤمن أو ولى من أولياء الله تعالى يكون النفع بذلك أعظم بلاشك ولا مرية وسوء الظن بالله تعالى وأهل الاسلام شر كله)(١) .

ولكن يبدو أن المزجاجى فى رده على الفقهاء كان فى واد وهؤلاء فى واد وإلا فمن اين له بتسليم الفقهاء لقومه وهم فى دور المنتقد لهم المستريب بأعمالهم مع ماعرفوا به من المماحكة والمجادلة الشديدة فى مثل هذه القضايا التى تمس العقيدة .

وعلى كل فأمامى فى هذا المجال بضعة كتب أولها مؤلفات الشيخ أحمد بن أبى بكر الرداد والمتوفى سنة ٨٢١ فى الرد على الفقهاء وهى كالآتى : —

١ — (عدة المسترشدين وعصمة أولى الألباب من الزيغ والزلل والشك والارتياب) (٢) .

٢ — (الشهاب الثاقب فى الرد على بعض أولى المناصب)(٣) .

٣ — (السلطان المبين والبرهان المستبين فى ظهور الحجه على من كفر أهل

(١) المزجاجى . : هداية السالك (مخطوط) .

(٢)(٣) السخاوى الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ .

السماع من أولياء الله المقربين)(١) .

وله غير هذه الرسائل التى عالج فيها مشكلات الصوفية التى يثيرها حولهم الفقهاء كرسالته فى تحقيق قول بعض الصوفية (خضنا بحرا وقف الأنبياء على ساحله)(٢) ورسالته فى معنى قول الشيخ أبى الغيث بن جميل (إن البلاد التى كنا قديما ليس فيها مطيعا لله ولا عاص بحال(٣)) وغير ذلك وقد جاءت هذه الرسائل فى الوقت المناسب حيث عاصرت شدة المعركة التى دارت بين الجانبين وكان الصوفية فى حاجة إلى الصوت القوى المعبر عنهم أمام تحديات الفقهاء الكثيرة ومن هنا جاءت رسائل ابن الرداد لتسد هذا النقص إلا أن ابن الرداد ما كان فى استطاعته أن يشهر قوله الصريح فى وجه الفقهاء لولا أنه حظى بمنصب القضاء العام الذى كانت تصدر عنه الاحكام الشرعية فجاء قوله قويا ومعبرا بكل شجاعة عن جماعته .

ثم جاء بعد بن الرداد تلميذه وزميله العلامة محمد بن القاسم المزجاجى المتوفى ٨٢٩هـ فكتب فى السنة التى توفى فيها ابن الرداد مؤلفه المسمى (هداية السالك إلى اسنى المسالك) وهو فى الرد على الفقهاء فى شخص ابن المقرى يقول فى مقدمته (هذه رسالة من العبد الفقير .... إلى الأخ فى الله سبحانه الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبى بكر المقرى سلمه الله تعالى وحفظه ووفاة وإلى كل من ينكر على الطائفة الصوفية نفع الله بهم الخ ...)، وهذا الكتاب من أهم ما وضع فى الدفاع عن الصوفية وسندرك أهميته إذا علمنا أنه كان إثر المعركة بين الفريقين خلال النصف

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .

(٢) الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ ونسب الجيلى هذه القولة إلى الشيخ ابن جميل (انظر الانسان الكامل ج ١ ص ٧٤) .

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ١٦٣ .

الأول من القرن التاسع ، وقد كان المؤلف فى رده على ابن المقرى قد استعمل كل عبارات الأدب والتقرير بخلاف خصومه من الفقهاء الذين يغلب عليهم طابع الغضب والتشنج وقد دخل المزجاجى على خصمه ابن المقرى بمدخل الصديق الناصح والمرشد الذى يهمه شأن زميله ومن هنا جاءت عبارات المزجاجى سهلة سلسة تشم منها رائحة الإخلاص والبراءة على الرغم من ضعف الحجة التى يدلى بها وعدم استنادها على دليل قوى يشهره فى وجه خصمه .

وبالجملة فان كتاب المزجاجى هو الأثر الباقى المناصر للصوفيـة من بين الآثار الكثيرة التى خلفتها لنا الأزمة الناشئة بين الفريقين والتى كتب أغلبها فريق الفقهاء وهو كتاب له قيمته القصوى بالنسبة لهذه الحادثة ليس من حيث قيمته الفكرية بل ومن الناحية التاريخية حيث ذكر معلومات تاريخية كثيرة عن الصوفية لا تجدها فى غير هذا الكتاب .

وبالرد من قبل المزجاجى على الفقهاء يلتزم الصوفية السكوت فلا أحد يظهر منهم بعد هذا التاريخ حتى تمر مرحلة طويلة نعدها بالقرون فيظهر منهم جماعة من المنافحين الذين أخذوا على أنفسهم قضية الصوفية والدفاع عنهم كالصوفى محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦ هـ صنف كتابا بعنوان (الآيات الباهرة فى اختطاف الأفهم القاصرة) تلمس فيه الحماس المفرط للصوفية إلى درجة تخرجه عن الحد . ومنهم فى العصر الحديث الشيخ إسماعيل بن مهدى الغرباني مؤلف كتاب (نفس الرحمن فيما لأحباب الله من علو الشان) الذى خصصه فى الرد على من ينكر على الصوفية وهو مقسم على فصول وأبواب إلا أنه لا يعتمد فى أكثر الأحيان على المنطق العقلى الذى يأخذ به خصومه من الفقهاء ومن فصوله الرئيسية فصل فى الرد على من كفر المسلمين وفصل فى مشروعية تعظيم الأولياء والأنبياء وفصل فى مشروعية التبرك بالصالحين(١) .

(١) انظر هذا الكتاب وهو مطبوع فى عدن سنة ١٣٨٠هـ فى ٢١٧ صفحة .

أحداث النزاع التاريخية

المرحلة الأولى

رأينا فى فصل لاحق كيف تكونت مدرسة ابن عربى فى التصوف اليمنى خلال القرن السابع بعد مجىء المقدسى إلى اليمن وتجمع تلاميذه حوله أمثال ابن (البانة)[1] الذى كان له نفوذ قوى عند الملك الاشرف قبل توليه الملك وبعده.

وكان المقدسى أكثر ما يجتمع بتلاميــــذه فى المدرسة العلياء المعروفة بمدرسة أم السلطان بمغربة تعز[2] (وكانوا يتذاكرون فى علم التصوف بما لا تحتمله العقول ولا تقبله)[3] وهو شىء غريب على أهل اليمن فلم يقبلوه منه (ونسبوه إلى الزندقة)[4].

وشاءت الاقدار أن يشهد هذا الزمن أول نزاع حاد بين الفقهاء والصوفية عندما كان الفقيه أحمد بن عبد الدائم الصفى المتوفى سنة ٧٠٧هـ أحد فقهاء عصره المتمكنين من علمهم تلميذا لابن البانة السابق الذكر وقد حضر مع شيخه هذا ما يدور بينهم من نقاش فلسفى استنكره عليهم وعدد من مآخذهم مسائل أخفها (أنهم يشككون فى صدق القرآن ويقولون أنه ليس من كلام الله)[5].

---

(١) ورد اسمه فى الكتب اليمنية فى عدة صور مختلفة ففى العقود اللؤلؤية يرد ذكره أحيانا هكذا (ابن التائه أو ابن النابة أو اليابة) ١ ص ٢٠٦ و٣٨٩ وغيرها) وفى كشف الغطاء بابن اليابة ص ٢١٧ وفى مخطوطه هداية السالك بابن البابا وقد ضبطنا اسمه من مخطوط طراز أعلام الزمن بقلم مؤلفها الخزرجى.

٢ ـ و ٣ ـ و ٤ ـ و ٥ ـ الجندى : السلوك (مخطوط).

فما كان من صاحبنا إلا أن اجتمع بزملائه من الفقهاء وأسر لهم هذا الأمر الخطير الذى اقامهم واقعدهم . فاتفق رأيهم على الاجتماع فى منزل الشيخ أبى بكر بن آدم الجبرتى وكان رئيس الفقهاء فى عصره .

« فى منزل الجبرتى »

شهد هـذا المنزل أول اتفاق منسق بين الفقهاء فى شأن الطائفه الصوفية الخارجين عن شريعة . يقول الجندى فى ذكر هذا الاتفاق (اجتمع الفقهاء إلى الجبرتى واخبروه بما شهد ابن الصفى فصعب عليه ذلك وقال له الفقهاء رأينا تبع لرأيك فأشر بما شئت فنحن ممتثلون وقم لله وإلا انتشرت هذه البدعة ومرق الناس من الدين) وهنا انتهى رأيهم فى هذه الجلسة على خطة معينة يوقعون بها المقدسى وتلميذه ابن البانة)[١].

« خطة الفقهاء للقضاء على المقدسى وتلميذه »

عهدنا من الفقهاء التدخل دائما فى مثل تلك القضية التى تمس الشريعة فلا غرابة إذا أسفر اجتماعهم عن مؤامرة مبيتة تهدف إلى القضاء على المقدسى وابن البانة وإعدامهما بالكلية . ففى الاجتماع السابق شرح الفقيه الجبرتى خطته الرامية إلى ذلك بأن يذهبوا جميعا الى المغربة بقصد حضور صلاة الجمعة فى مسجدها الكبير على أن يرصدوا خطوات المقدسى وزميله فإذا جاء للصلاة — يقول الجبرتى — (أوقعنا بهما وقتلناهما وارحنا المسلمين منهما والإسلام) وينفض الاجتماع بموافقة الفقهاء جميعا على خطة الجبرتى بعد أن (اجابوه على الطاعة وتعاهدوا على ذلك)[٢] .

« فشل المؤامرة »

ولكن المؤامرة لم تنجح اذ سرعان مانما هذا الخبر الى المقدسى وتلميذه

(١ ، ٢) الجندى : السلوك (مخطوط) .

الذين أخذا يعملان الفكرة لصد كيد الفقهاء نحوهم واتفقا على أن يستعينا فى هذا الأمر بوالى المدينة الأمير الواثق بالله ابن الملك المظفر الرسول الذى زود المقدسى بجماعة من العسكر يحفظونه أثناء دخوله الجامع للصلاة .

وحين جاء وقت الصلاة حضر الجبرتى من (ذى عدينة) وكان يعمل مدرسا بها واجتمع بزملائه من الفقهاء الذين احتشدوا فى جامع المغربة على أمل وجود المقدسى وتلميذه ليوقعوا بهما كما تم الاتفاق بينهم سابقا فاذا بالمقدسى يدخل المسجد ومعه جماعة من الرجال يحرسونه بالسلاح فلم يتمكن الفقهاء من المساس به وفشلت الخطة . أما ابن (البانة) بما انطلى عليه من لباقه وحسن تصرف — وقد كان هو الذى أشار المقدسى بالالتجاء إلى الواثق — فقد تسلل خفية من مدينة تعز بعد أن اكترى هجينا وتوجه من فوره إلى مدينة زبيد للاجتماع بالملك المظفر وإطلاعه على ما دبره الفقهاء .

وعند وصوله إلى مدينة زبيد ارتمى على باب منزل الامير الاشرف لعلمه بصداقته له وإدلاله عليه واستغاث به فى صورة مؤثرة حتى (استدعاه واستخبره عن أمره)[١] فاخبره بالقضية من أولها إلى آخرها وسنجد ابن البانه قد استغل صداقته مع هذا الأمير لغرض التوسط له عند والده الملك المظفر بشأن هذه القضية وقد وقف معه هذا الأمير وطلب منه تحرير مكتوب يشرح فيه ماجرى له ليقدمه عند والده .

« تدخل الدولة فى هذه القضية »

يقول المؤرخون أنه لما أتم ابن البانة كتابة التقرير الذى يشرح فيه حادثة الفقهاء معه هو وزميله المقدسى دخل بها الواثق إلى عند والده الملك المظفر الذى

(١) الجندى : المصدر السابق مخطوط .

حاله ما وصل إليه الامر بين الفريقين فى مدينة تعز (وصعب عليه الامر وخشى أن تنتهى المسألة بين الفقهاء والصوفية إلى شقاق كبير)(١) فكتب الملك المظفر إلى الفقهاء رسالة شديدة اللهجة يحذرهم فيها من القيام بمثل هذه الاعمال المقلقة لامن الدولة وبعث بالرسالة إلى والى مدينة تعز بعد أن أمره أن يقرأها على المنبر ليسمعها جمهور الفقهاء وغيرهم .

أما نص هذه الرسالة التى كتبها الملك المظفر إلى الفقهاء فقد أورده جماعة من المؤرخين منهم المزجاجى الذى اطلع على أصل المكتوب فى ورقة قديمة جاء فيها :

(اظلمتم الضياء وخبطتم فى عشواء فاقتصروا عن هذه الاهواء واشتغلوا بالنصوص فانك يا ابن آدم(٢) أعنى المتفقهة وأمثالك ممن هو فى تلك الجهة لم يحط علما بما فى كتابه ولو بحث أحدكم وسئل عن مسئلة فيها قولين لم يكن فى قدرته الجواب عنها حتى يكشف ويطالع وإذا كان يعييكم ما أفنيتم فيه أعماركم فكيف تخرجون إلى أهوية تقيمون لها أمثالا بظاهر ألفاظكم مما يستدل بها على على أهويتكم فاعتمدوا على الكتاب والسنة والصحيح من حديث رسول الله (ص) واتركوا التمسك بالموضوعات على النبى (ص) فلهذا علماء يوردون ويصدرون واستم من ذلك النمط فى شىء فالحذر كل الحذر فمن حذر فقد انذر فإن اقتصرتم والا قصركم السيف عن طول اللسان فإنما قصدكم التلبيس على العوام بقيل وقال)(٣) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) يعنى به الشيخ أبو بكرا بن آدم الجبرتى :

(٣) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) وانظر هذه الرسالة فى الجندى : السلوك (مخطوط) والاهدل كشف الغطاء ص ٢٢٩ .

« تعقيب على رسالة السلطان فى شأن الفقهاء »

لم يكن للدولة الرسولية فى ذلك الوقت سياسة دينية معينة فهذه الدولة لم تكن تحكم حكما دينيا (ثيوقراطى) كما هو الحال فى دولة الإمام وقد وقفت فى هذا النزاع موقف المحايد البعيد عن أى انتماء معين وهو الموقف الاصلح لها كدولة ترعى حقوق الامة على اختلاف أنواعهم وخاصة وأنها أمام فئة ضعيفة من الصوفية حاول التجنى عليها جمهور كبير من الفقهاء بما عرفوا به من الشدة .

وقد كان السلطان فى رسالته السابقة مضطرا إلى أن يناقش الفقهاء بأسلوبهم المتبع عندهم فحاول أولا الطعن فى معارفهم وما وصلوا إليه إذ الواحد منهم (لو بحث فى مسألة فيها قولين لم يكن فى قدرته الجواب عنها حتى يكشف ويطالع) ويمضى طيلة ليلته ينقب ويفتش .

ثم عرض لعملهم الاهوج فى التجنى على الصوفية واعتبره من آثار عقولهم الضعيفة التى تتصور مسألة خيالية فتجسدها إلى عالم الواقع . إذ سرعان ما اختمرت فى أذهانهم مسألة تكفيرهم فحاولوا الإقدام على خطوة كبيرة هى القتل وهو الامر الذى يعتبر تحديا للسلطات العليا وتدخلا فيما هو من اختصاصها وقد أشار إلى ذلك بقوله مستنكرا عليهم اقدامهم الخطير (كيف تخرجون إلى أهوية تقيمون لها أمثالا بظاهر ألفاظكم مما يستدل بها على أهويتكم) .

وأخيرا لم يبق أمام السلطان المظفر كسلطة عليا إلا أن يهددهم بما هو أشد من التحذير وهو القتل إذا لم يكفوا عن مثل هذه الاعمال المقلقة لامن الدولة ولعل فى ذلك ما يردع من تسول له نفسه بالقيام بعمل مشابه لفعلتهم تلك يقول (الحذر كل الحذر فمن حذر فقد انذر فان اقتصرتم والا قصركم السيف) وهذا غاية ما يأتى من الملك المظفر .

وقد يظن فريق الصوفية أن فى هذه الرسالة مناصرة لهم على الفقهاء ويستدلون

بها على تأييد الدولة الرسولية لهم كما رأينا ذلك صراحة فى قول المزجاجى عند عرضه الرسالة مخاطبا ابن المقرى (١) .

وليس الأمر كما اعتقد المزجاجى إذ المسألة هنا قضية جماعة خرجت عن نطاق القانون وكان الأولى ردعهم وتخويفهم بغض النظر عن انتمائهم وميولهم . وهذه هى الوسيلة الوحيدة أمام الدولة لضمان حرية القول لشتى فئات المجتمع .

« حالة الفقهاء بعد التهديد »

بعد سماع الفقهاء انذار الملك المظفر سكتوا عن الصوفية ولم نعد نسمع منهم إنكارا خشية من قيام الدولة بحملة تأديب ضدهم وخاصة وأن الإنذار كان شديد اللهجة وقد وصف الجندى حالة الفقهاء بعد سماعهم التهديد أنهم (تفرقوا وذهب أمرهم شغر بغر)(٢) أما العلامة ابن الاهدل الذى نسمع صوته بعد مضى ما يقرب من قرنين على الحادثة يستنكر على الفقهاء سكوتهم ويقول (كان ينبغى عليهم أن يجيبوا السلطان المظفر وينصحوه بكتاب لطيف ويظهروا له الحق ليرجع من إنكاره عليهم)(٣) ولكن الفقهاء خشوا من عقبى هذه المراجعة والسلطان لا يزال فى ثورته عليهم وكان على الاهدل أن يقدر ظرفهم ذلك المحرج وبسكوت الفقهاء انتهت أول جولة من الصراع بين الفريقين .

« موقف الدولة الرسولية من النزاع »

على أن قصر مدة هذا النزاع واخماده وهو فى مرحلته الاولى لم يعطنا صورة واضحة عن وجهة الدولة الرسولية أمام تلك المنازعات بين الفقهاء والصوفية فقد سكتت الدولة ولم تظهر أى انحياز إلى أحد من الطرفين المتنازعين إلا من خلال

(١) المزجاجى : المصدر السابق (مخطوط)
(٢) الجندى : السلوك
(٣) الاهدل : كشف الغطاء

التهديد المرسل إلى الفقهاء وهو غير كاف لبيان موقفها حيث لم نجد فيه سوى تحركات شكلية لحفظ الهدوء ولا يجب أن يفهم بأنه انحياز إلى جانب الصوفية كما اشرنا إلى ذلك فيما سبق .

ولم نجد الدولة تتدخل فى مثل هذه القضايا إلا فى المرحلة الثانية من النزاع الذى وقع بين الفريقين فى منتصف القرن الثامن وما بعده وذلك لاستمرار هذا النزاع مدة طويلة واضطرار الدولة إلى الانحياز أحيانا أو إلى المحايدة أحيانا كثيرة وهذا ما سنبينه فى فصل آخر .

« المرحلة الثانية من النزاع بين الفقهاء والصوفية »

كان النزاع بين الفقهاء والصوفية فى القرن السابع أول حادثة من نوعها بين الفريقين وقد تركت آثارها فى النفوس ووجدت لها متنفساً فى أكثر من واقعة يصورها لنا التاريخ اليمنى . ومع أن المسألة كادت أن تنتهى بين الفريقين عند قيام السلطان المظفر بتهديد الفقهاء وردعهم إلا أنه ما كاد ينقضى هذا العصر حتى يعود الخصام بأشد مما كان وقد ذكر لنا أهل التاريخ اشياء من ذلك كثيرة(١) سيجدها الباحث فى النخل الجيد لمحتويات المخطوطات اليمنية . على أن حقيقة النزاع من حيث هو مجابهة كبرى بين الفريقين يبتدى فى القرن السابع عند قيام الصوفية بنشاط ملموس فى الدعوة إلى التصوف والتوسع فى فلسفاتهم النظرية والعملية ولم يعد من أمرهم التكتم فى تعاليمهم والتستر كما هو الحال عند جيلهم الأول من المتصوفة .

(١) من ذلك ماذكره الخزرجى فى ترجمة حسين بن أبى بكر السودى المتوفى ٧٠٤ يقول (كان فقيها صالحا وكان ينكر على القراء (الصوفية) الرقص والسماع فلذلك تحاجم الفقراء عليه ولم يزل حذرا من السلطان بعد أن وشى به انه يتصل بامام الزيديه) العقود اللؤلؤية ج ١ ص٣٦٦ .

وقد كان الصوفية فى هذه الفترة يتزعمهم الصوفى الكبير الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى المتوفى سنة ٨٠٦ ﻫ وقد انضم إليه اتباع من الصوفية انتشر شأنهم وتكاثروا حتى اصبحوا يكونون قوة صغيرة لهم نفوذ وسلطة بجانب نفوذ الدولة ولم يقتصر أمرهم فى ممارسة نفوذهم المدنى على القضايا الدينية والشعائر الصوفية بل تعدى ذلك إلى القيام بإصدار احكام فى حق المخالفين من المناوئين والمعادين لهم مما يفسر لنا مدى سلطتهم القوية عند الدولة الرسولية ، يقول الخزرجى فى حوادث سنة ٧٩٧ ﻫ :

(وفيها أمر الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى بضرب الشيخ صالح المكى فضرب بالسياط ضربا مبرحا ثم ان الشيخ إسماعيل استأذن السلطان فى إخراجه من اليمن فأجابه إلى ذلك وصرف أمره إلى أمير البلد فأرسل به الوالى إلى البحر وأمر نوابه أن يسافروا به إلى بر العجم)(١) .

ولا غرابة إذن بعد كل هذا ان يزداد نفوذ الصوفية وان يتوسعوا فى تعاليمهم دون خشية من رقيب أو منكر عليهم .

---

(١) العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٧٢ ولعله نفس المشار إليه عند الشوكانى باسم صالح المصرى فقد ذكر ان هذا الشيخ كان ينكر على اسماعيل الجبرتى فتعصب عليه الصوفية حتى نفوه إلى الهند فقال أحد الشعراء ينكر على الجبرتى وجماعته فى قيامهم بنفى المصرى :

صالح المصرى قالوا صالح ... ولعمرى أنه للمنتخب
كان ظنى انه من فتية ... كلهم ان تمتحنهم تختلب
رهط اسماعيل قطاع الطر ... يق إلى الله وارباب الريب
سفل حمق رعاع غاغة ... اكلب فيهم على الدنيا كلب

البدر الطالع ج ١ ص ١٣٩ .

مراحل النزاع الاخير

وكان لذلك النفوذ أثر فى اسكات الاصوات المنكرة ولم نسمع للفقهاء رأيا معارضا إلا بعد انقضاء مدة طويلة رأيناه أولا على شكل معارضه بسيطة يثيرونها من خلال مسائل فقهية صغيرة إلى أن تطور النزاع إلى نواحى أخرى وأصبح كل فريق يكفر الآخر بل لم يكتفوا بهذا فقد أخذوا يتعاطون التشهير علنا حتى دخلت القضية طورا سياسيا أوسع على أثر مشاركة الدولة الرسولية فى هذه الناحية وانحيازها مع بعض الفرقاء حينا من الزمن .

وقد مر النزاع بين الفقهاء والصوفية بثلاث مراحل رئيسية تمثل كل ما يجرى بينهما حتى خمود القضية وانتهائها . وقد رأينا تقسيمها على الوجه الآتى :

— المرحلة الاولى من سنة ٧٩٦ ﻫ إلى سنة ٨١٧ ﻫ

وهى المرحلة التى شهدت قيام الفقهاء بحملات ضد الصوفية واستفتى الملك الناصر أحمد بن الاشرف إسماعيل فى شأن كتب ابن عربى ومطالعتها ثم خوض العلماء فى الإجابة على فتوى الناصر ومنهم العلامة مجد الدين الفيروز اباذى الذى تولى القضاء العـــام فى اليمن من سنة ١٩٦ إلى سنة وفاته وانحيازه إلى جانب الصوفية .

— المرحلة الثانية من سنة ١٨٧ ﻫ إلى سنة ٨٢١ ﻫ

وتمثل انتصار الصوفية على الفقهاء وتنكيل أولئك بهم على أثر تولى احد الصوفية زمام القضاء العام وهو الصوفى الكبير أحمد بن أبى بكر الرداد .

— المرحلة الثالثة من سنة ٨٢١ ﻫ إلى سنة ٨٣٧ ﻫ

وهى فترة استعادة الفقهاء سيطرتهم وملاحقتهم لخصومهم ، ثم خمود جذوة النزاع بين الفريقين بعد وفاة ابن المقرى سنة ٨٣٧ ولم يعد الفقهاء يعنون بالرد على الصوفية لاسباب تعود إلى ميل السلطة إلى الصوفية كما أشرنا فى فصل لاحق.

وقد كان النزاع فى مجمله نوعاً من الترف العلمى الذى وصلت إليه البلاد فى العصر الرسولى إذ لم يعد الفقهاء يحصرون انفسهم فى دراسة المسائل الفقهية المجردة بعيدا عن الاحداث العلمية المعاصرة لهم وهذا ما يفسر لنا تحول بعضهم من البحث فى مواضيع فقهية عادية إلى مجالات أوسع من الدراسات العلمية .

والان بعد أن حصرنا إتجاهات النزاع فى هذه المراحل الثلاث فما علينا إلا دراسة الموضوع من شتى اتجاهاته .

الحياة العلمية فى ذلك الوقت

المحنا فى قول سابق إلى أن النزاع بين الفريقين كان نتيجة طبيعية لتلك النهضة العلمية التى شهدتها اليمن خلال الحكم الرسولى ولم يكن النزاع محصوراً بين الفقهاء والعلماء وحدهما وكان كثيرا ما يحدث بين أصحاب الفن الواحد وغالبا ما يثار النقاش حول المسائل الفقهية فيشتبك الفقهاء فيما بينهم فى نقاش حاد وربما خرجوا من نطاق البحث إلى التحدى السافر لبعضهم البعض وقد ذكر (البريهى) ان العلماء فى عصره قد اختلفوا فى عدد تجديد بناء الكعبة فتبارى العلماء فى عدها حتى أوصلها العلامة محمد بن أبى بكر الخياط المتوفى سنة ٨٣٩ الى ١١ بناية فى مؤلف له بعنوان (التحقيق فى عدد بناة البيت العتيق)(١) وهذا نموذج بسيط وإلا فالشواهد على ذلك كثيرة وقد اذكى النقاش من زاوية أخرى سلاطين بنى رسول وقلما يخلو اجتماع لهم بالعلماء من نقاش يثيره أولئك السلاطين بما جبلوا عليه من حب المعرفة وقد أشار الخزرجى الى بعض مما يدور فى تلك المجالس من ذلك ما ذكره فى حوادث سنة ٧١٦ يقول :

(فى يوم الاحد ٢٨ من شهر شعبان تهيأ السلطان الاشرف للصيام واخلى محلة دار النصر لحضور الفقهاء والقضاة والوزراء ومن يعتاد حضور مجلسه

(١) تاريخ البريهى : مخطوط

للتفيح فى شهر رمضان وكان الحاضرون مجلسه فى شهر رمضان يتنازعون فى تفضيل الرطب والعنب ايهما أفضل من صاحبه فحصل الاجماع بتفضيل الرطب على العنب وكان القائل بتفضيل الرطب على العنب فقهاء تهامة وأمراؤها وكان القائلون بتفضيل العنب على الرطب فقهاء الجبال وأمراؤها وقد اسند أهل الجبال أمرهم إلى الفقيه صفى الدين أحمد بن موسى التعزى وكان فقيها عارفا مدققا واسند أهل تهامة أمرهم إلى الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبى بكر المقرى وكان يتوقد ذكاء وكان حاضر هذه الواقعة حاكم الشرع الشريف القاضى عفيف الدين عبد الله بن محمد الناشرى)(١) .

إذن فالعصر كان فترة مناقشة علمية وأدبية فلا غرابة أن يأتى بعد ذلك النزاع بين الفقهاء والصوفية كصورة متممة للواقع الجدلى المعاش خلال تلك المرحلة الزاهرة من تاريخنا الثقافى فى اليمن .

وقد اشار إلى ذلك النزاع كثير من المؤرخين إلا أنهم نادرا ما يلتزمون التسلسل التاريخى لتطور الحادثة وهم غالبا ما يشيرون إليه عند ذكرهم لاعلام النزاع الذين خاضوا غماره . مكتفين فى ذلك بالسرد المجرد الذى لا يسنده تحديد زمنى معين لذا فان حياة أولئك الاعلام وتحديد سنواتهم التى عاشوها هى الخيط الوحيد الذى يمكن بواسطته تتبع تطور النزاع من حيث هو احداث مجرده أما تراجم أولئك فسالحقها بآخر الحديث فى فصل مستقل كما فعلت فى الفصل السابق(٢) .

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج٢ص٢٦٣

(٢) كنا قد وضعنا تراجم مفصلة لاعلام النزاع فى المرحلتين الأولى والثانية مع تراجم سلسلة العلماء الوافدين إلى اليمن من الذين ساهموا فى النزاع الا اننا رأينا حذفها من هذه الطبعة حتى لا يضخم الكتاب على أننى قد ترجمة لاكثر اعلام النزاع من المذكورين فى هذا الكتاب فى مؤلفى « تاريخ التراث اليمنى فى العصور الاسلامية » « تحت الطبع »

وكان للنفوذ الروحى الذى حظى به الشيخ الصوفى إسماعيل بن إبراهيم الجبرتى أثر فى اعلاء شأن الصوفية واستعادة مكانتهم فى المجتمع اليمنى خلال القرن الثامن وكان ذلك أولا عن طريق تقربه للولاه من حكام بنى رسول الذين رحبوا به واحتضنوا تعاليمه الصوفية وكانت لهم ايادى فى تشجيع الصوفية بإقامة السماعات والأذكار.

وقد استهدفت حركة الشيخ إسماعيل الجبرتى — بجانب استعادتها مكانة الصوفية — القضاء على المناوئين لفرقته من جمهور الفقهاء وأصحاب الحديث الذين مازالوا يرددون الإنكار عليهم ويصفوهم بالخروج عن العرف المألوف الصوفية الاوائل بإقامة السماع فى المساجد وتحويلها إلى اماكن رقص وغناء.

على أنه ليس بايدينا قائمة بأسماء المنكرين وكل مانعرفه عده أسماء لا تمثل مجموعهم الكلى ولعل الرعيل الأول منهم هم اولئك الذين ادركوا حياة الشيخ الجبرتى من سنة ٧٢٢ إلى سنة ٨٠٦ وهم : —

١ — ابن القليل الذى انفرد بذكرة المزجاجى ولم اجد من اشار إليه غيره وقد جاء فى وصفه له بأنه (كان من الطلبة الجهل المقصرين)(١) وفى قوله بعض من التحامل لان المزجاجى كان معروفا بميله إلى الصوفية

٢ — أحمد بن ابراهيم بن على العسلقى المتوفى سنة ٨٠٦ وهو من العلماء الذين ردوا على الصوفية بشدة وقد ذكره الاهدل بأنه (كان لايخاف فى الله لومة لائم فى أنكار ماينكر من الشرع أنكر على الصوفية فى زبيد كابن الرداد وإتباعه وهم يومئذ أهل قبول تام عند السلطان فما بالى وربما هموا به بمكروه فنجاه الله

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط).

وكان ابن الرداد يخوفه بسوء الخاتمة فمات العسلقى على الحال المرضى بالاتفاق على خلاف ابن الرداد فأنه كانت منه هنات)(١).

والعسلقى قصيده فى نحو ثلثمائة بيت رد بها على ابن الرداد فى نقده عليه وهى فى الإنكار على من يبيح السماع المعتاد عند الصوفية (ذكر فيها أدلة الكتاب والسنة على تحريم إجتماع الات اللهو من الغناء والدف والشبابه واختلاط النساء بالرجال)(٢).

٣ — أحمد بن أبى بكر بن على الناشرى المتوفى سنة ٨١٥ وهو احد الاعلام الرئيسين فى النزاع وله مع الصوفية صولات وجولات سنذكرها فيما بعد.

٤ — أبو بكر بن محمد الخياط المتوفى سنة ٨١١. كان رئيس الفقهاء المتزعم الإنكار على الصوفية ويكفى ان نعلم ان (الفيروز اباذى) قد تصدى للرد عليه فى رسالته (الاغتباط بمعالجة ابن الخياط) لندرك أهمية هذا الرجل ولعله أول من أشهر الانكار على الصوفية بطريقة اغاضت الصوفية وقد عاصر القضية من بدايتها.

وقد شارك هؤلاء الفقهاء فى الانكار على الصوفية جماعة أخرى من زملائهم وكان لهم دور لا يستهان به فى القضية إلا أن كفاحهم الحقيقى تمثل فى المراحل الأخيرة.

على أنه من الانصاف ان نقول أن الفقهاء ما كانوا يحبون التورط مع الصوفية فى نزاع حاد وهم الذين كانوا يحسنون الظن بهم ويرون فى سلوكهم الخلقى نموذج

(١) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط) والضوء اللامع ج ١٠ ص ١٩٢.
(٢) الاهدل : المصدر السابق.

يجب الاقتداء به وقد كان سلفهم يميل إلى الصوفية أكثر من ميله إلى علماء الكلام بل نجد ظاهرة حسن الظن بالصوفية تطغى حتى على أولئك النفر من المنكرين الذين ناصبوا إتباع ابن عربي العداء أمثال محمد بن علي الموزعي المتوفى ٨٢٥ هـ وكان يميل إلى الصوفية وهو الذي اختصر كتاب (روض الرياحين) لليافعي ومنهم إسماعيل بن أبي بكر بن المقري على الرغم مما شهر عنه من عدائه لإتباع ابن عربي فقد كان يردد الثناء على الصوفية المستقيمين منهم ويفرق بينهم فنسمع مثل قوله :

وخذ نهج سهل والجنيد وصالح   وقوم مضوا مثل النجوم الزواهر
على الشرع كانوا ليس فيهم لوحده   ولا لحلول الحق ذكر لذاكر
رجال رأوا ما الدار دار إقامة   لقوم ولكن بلغة للمسافر
فاحيوا لياليهم صلاة وبيتوا   بها خوف رب العرش صوم البواكر
أولئك أهل الله فالزم طريقهم   وعد عن دواعي الابتداع الكوافر (١)

وحتى ابن الاهدل صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذي رد به على الصوفية الفلاسفة فقد كان يثني على الصوفية في تاريخه العام ويذكر الكثير من كراماتهم وأحوالهم .

وهذا دليل سافر على أن أولئك الفقهاء بما فيهم أولئك الذين تعرضوا للصوفية بالنقد - ما كان لهم النية في المعارضة لولا أنهم وقفوا أمام الأمر الواقع الذي لا يجب السكوت عنه بعد أن خرج الصوفية عن كثير من القوانين الشرعية التي يلح الفقهاء على إتباعها .

وبجانب هذا الأمر الرئيسي فقد دخلت الدولة بكل ثقلها في معمعة النزاع لتكون بعد ذلك عاملا من العوامل المهيجة على أنه لم يكن دخولها في القضية

---

(١) ابن المقري : مجموع ابن المقري ص ١٣ .

من باب حفظ الأمن والتوسط بين الفريقين . وإنما جاءت لتنحاز إلى جانب الصوفية الذين رأت في وجودهم مرتكز شعبي تعتمد عليه وقد مر بنا في فصل سابق كيف أن الميل إلى الصوفية قد توارثه ملوك بني رسول أبا عن جد .

فالميل الذي يكنه الملك الاشرف إسماعيل بن عباس الرسول للصوفية مما لا يمكن اخفاؤه بأي حال من الأحوال وقد صرح بذلك أحد من عاصر النزاع وهو الصوفي محمد بن محمد المزجاجي الذي يقول (أن الملك الاشرف كان معتقدا الشيخ اسماعيل الجبرتي وأصحابه الصوفية ويحبه غاية المحبة)(١) ويؤيده في هذا القول معاصرة ابن الاهدل الذي يرى في ميل الملك الاشرف وولده الناصر إلى الصوفية محاباة تبعدهما عن عدل الملك يقول (وكان السلطان الاشرف ثم ولده الناصر يحابيان الصوفية)(٢) ويربط هذه المحاباة بإنكار الفقهاء فهي إنها سببا رئيسيا في عدم جدوى إنكارهم في مرحلته الأولى (فلم يكد يؤثر الإنكار) .

وكان الملك الاشرف قد عاصر النزاع وهو في مرحلته الأولى فكان ميله إلى الصوفية سببا في أحداث الفرقة بين الفقهاء أنفسهم وانقسامهم بين مؤيد الصوفية ومنكر عليهم ولا شك أن الفقهاء ما كان أغلبهم يميل إلى الصوفية لولا أنهم وجدوا السلطة تنحاز إليهم فاتبعوهم بحكم التقرب إلى السلطان والجماعة له. وقد أفصح عن هذا الموقف ابن المقري في حديثه عن ميل الفيروزابادي إلى الصوفية بقوله (أنه لما جاء إلى اليمن والشوكة للصوفية ساعدهم ووافقهم على ما يريدون)(٣) وكان إنحياز الفيروز آبادي إلى الصوفية طعنة قوية في ظهور الفقهاء الذين كانوا يرون أنه في صفهم لتمكنه من علم الفقه وسائر العلوم الدينية

---

(١) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط) .
(٢) الاهدال : كشف الغطاء ص ٢١٧
(٣) المزجاجي : المصدر السابق .

والأدبية وما كان أحد منهم يظن أنه سيوافق الصوفية على أفكارهم ويثني على ابن عربي في رده على الفقيه ابن الخياط . وهذا ضعف في شخصية الفيروز ابادي لمه ابن حجر وحاول تشخيصه بقوله (ولم أكن اتهم الشيخ بمقالة ابن عربي إلا أنه كان يحب المداراة)(1) .

وسيظهر من شاكلة الفيروز ابادي كثير من الفقهاء يخذلون أصحابهم وهم في شدة النزاع حتى ان الصوفية يجعلون من الإختلاف بين الفقهاء حجه لصالحهم يشهرونها في وجوه اعدائهم ، ونجدهم يعلون من مكانة المؤيدين لهم من الفقهاء بل نجد المزجاجي يجعل من سكوت بعض الفقهاء عن التعرض للصوفية دليلا على موافقتهم لهم كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمي (المتوفى سنة ٧٩٢ هـ) الذي لم يؤثر عنه إنكار على الصوفية وكذلك لم يؤثر عن غيره من كبار فقهاء عصره أمثال إبراهيم العلوي وابنه سليمان وعبد اللطيف الشرجي ومحمد بن سعيد بن كبن وأحمد الذوالي وأبي بكر الرداد وعلي الناشري وهؤلاء هم الذين ذكرهم المزجاجي محتجا بسكوتهم وبناء على ذلك موافقتهم للصوفية إلا أن هذا ليس دليلا شافيا إذ كان بإمكان الفقهاء أن يجعلوا من هذا السكوت حجة في صالحهم كما فعل خصومهم .

والقول الفصل في هذا الباب هو أن سكوت الفقهاء كان تقيه ومسايرة لسياسة الدولة إذ كان البعض منهم يشرف على مصالح كبيرة كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمي الذي كان يتولى قضاء اليمن العام .

ومع ذلك سنجد الدولة لا تتنكب جانب الفقهاء نهائيا وتحاول أن تستشيرهم في كثير من القضايا المتعلقة بالصوفية على اعتبار انهم الممثلون للشريعة وقد كان هذا في حقيقته عمل شكلي حتى لا يقال ان الدولة قد ركبت هواها في مسألة

(1) ابن حجر العسقلاني : ابناء الغمر ج ٢ ص ٤٩

الصوفية فقد حدث (أن الملك الاشرف لما علم من بعض الفقهاء إنكارهم لسماع الصوفية كتب إلى قاضي القضاة شمس الدين بن صقر سؤالا يسأله عن حكم السماع فكان جواب القاضي أن وضع مصنفا حسنا في إباحة السماع وجوازه)(1) وهذا القاضي كان من نفس النمط السابق الذي يتماشى مع سياسة الدولة حسب ظروفها وهو أحد كبار الموظفين الرسميين فقد تولى القضاء العام في اليمن وسنجد له ترجمة عند بامخرمة الذي يقول (هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صقر الغساني عاش بالشام ثم حج وجاور بمكة فاخذ بها عن جمع من العلماء وعندما حج المجاهد حجته الاولى سنة ٧٤٢ ورجع إلى اليمن دخل ابن صقر المذكور اليمن بصحبته فافضل عليه المجاهد ثم ولاه القضا الاكبر في جميع قطر اليمن فلم يزل مستمرا على ذلك إلى أن توفي المجاهد فلما تولى ابنه الافضل زاد في رزقه ولم يزل مستمرا على القضا حتى عصر الاشرف ثم توفي في آخر شوال سنة ١٨٥ هـ)(2) .

وهكذا فان الدولة بعد أن قربت إليها كثير من الفقهاء وجعلتهم في المراكز القضائية الهامة كان على أولئك الفقهاء متابعة روسائها في سياساتهم العامة والخاصة حتى كانت هذه المتابعة سمة خاصة بالفقهاء في ذلك الوقت وقد رأينا أحد الذين استنكروا عليهم هذا المسلك يصفهم (بالمحاباه والمداهنة في دين الله .. وهذا غالب على فقهاء الوقت)(3) بل نسمع أشد من هذا القول في نقد موقف بعض الفقهاء تجاه النزاع بين الفقهاء والصوفية كما سيتضح لنا فيما بعد وقد كانت أكثر منظومات ابن المقرى في العيب على سلوك جماعته الذين التزموا الصمت وتركوه وحده في الميدان يقارع الصوفية ومن ورائهم السلطه .

(1) المزجاجي المصدر السابق (مخطوط) .
(2) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ص ١٩٩
(3) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧

وبالجملة فإن التناقض فى موقف الفقهاء مما لاشك فيه وكان هذا احد العوامل التى ساعدت على انتصار الصوفية على خصومهم فى مرحلة النزاع الاولى والثانية ونجد عند أبى المقرى تصوير لذلك الموقف فى مقطع شعرى (يقول فيه على لسان قومه من الفقهاء) : —

فقام لربهم منـــا رجال لهم فيه على الحق إستقامه
فاما الصالحون فما تلكروا ولا قالوا نخاف من الملامه
وافتوا بالذى علموا وخافوا وعيدا نال من رضى اكتتامه
واما غيرهم فرعى امورا وآثرها على يـــوم القيامة
وقال الشيخ أحمد لى صديق وكل منه يفرط بالسلامة
فقلت الله عند سواك أولى وأجدر من صديقك بالكرامة[1]

والشيخ أحمد المشار إليه هنا هو أحمد الرداد وكان يتولى القضاء أثناء نظم ابن المقرى شعره وهكذا يمضى الفقهاء المنكرون فى نعيهم على زملائهم عدم المناصره لهم .

ولم يبقى من الفقهاء المعارضين للصوفية سوى قلة تـكاد تعد بالاصابع وقد تزاسهم فى المرحلة الأولى الشيخ أحمد بن أبى بكر الناشرى وهو نموذج للرجل الصلب المراس الذى تكون صلابته سببا فى إذيته واسباغ اللوم عليه من قبل الناس ويذكر من ترجم له أنه تولى قضاء زبيد فكان يخلع منه من حين لآخر ففى سنة ٧٨٦ ولى القضاء فخلع فى سنة ٧٩٠ ثم أعيد فى نفس السنة ثم إنفصل فى سنة ٧٩١ ثم اعيد سنة ٧٩٣ ثم خلع وهكذا حتى أن السخاوى وهو يكرر هذه التوليات والعزل يستشهد بالقول المأثور (ماترك لى الحق من صديق)[2]

(١) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ٢٣

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥٧

ولعل سر هذا يعود إلى حده فى مزاج الرجل وعدم ملاينته للناس وهذه هى السمة العامة لكل أعلام النزاع من الفقهاء وقد أدرك خصومهم هذه الهنه فحاولوا تجريحهم والعيب عليهم من خلالها وأنت تلاحظ ذلك فى قول المزجاجى مخاطبا ابن المقرى يقول (يا أخى حفظك الله الغضب والشحنا والمنافسة فى بعض الامور تفعل بالعاقل مثل هذا أو ترمى بصاحبها إلى هذا الحد)[1] وكأنه بهذا القول يعرض بحدة امزجة خصومة من الفقهاء .

ونخرج من هذا كله إلى أن النزاع بين الفقهاء والصوفية قد ساعد فى إيجاده عدة عوامل محلية ونفسية حتى إذا حان الحين رأينا هذه العوامل تبدو جليه واضحة فى صورة ذلك التصادم الذى نحن بصدده وقد كان للصوفية صوله كبرى عند السلاطين الرسوليين وليس من السهل التغلب عليهم إلا عن طريق التأثير على حلفائهم الاقويا آل رسول وهذا مما يصعب حيث كان ملوكهم يعتقدون الصوفية وقد مر بنا كيف أن الملك الاشرف كان يحسن الظن بالشيخ إسماعيل الجبرتى وجماعته ومن بعده ابنه الملك الناصر أحمد بن الاشرف إسماعيل الرسولى الذى امتد حكمه من سنة ٨٠٣هـ إلى سنة ٨٢٧هـ وعاصر القضية وهى فى عنفوانها فلم يدخل فى النزاع إلا كمؤيد للصوفية وقد تمثـــل ذلك فى أكثر من موقف للملك الناصر لعل أولها ذلك السؤال الذى طرحه أمام الفقهاء بشأن إتباع ابن عربى وكان من الأسباب الرئيسية التى أثارت القضية من جديد واحدثت هوه بين فريق الفقهاء أنفسهم حيث اتت جواباتهم على السؤال مختلفة بين مؤيد للصوفية ومعارض لهم .

أما نص السؤال فقد أورده القارى وهو كما يلى : —

(ماتقول السادة العلماء شد الله بهم أزر الدين ولم بهم شعث المسلمين فى

(١) المزجاجى : هداية السالك مخطوط .

الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه وفى كتبـــه المنسوبة كالفتوحات والفصوص وغير ذلك فهل يجوز قراءتها واقراؤها وهل هى من الكتب المسموعة المقروءة أم لا افتونا ماجورين جوابا شافيا فيها لتحوزوا جزيل الثواب من الله الكريم الوهاب)[1] .

فأجاب على هذا السؤال مجد الدين الفيروز اباذى الذى كان الملك الأشرف قد خصه بهذا السؤال وحده من دون بقية الفقهاء .

ومن هنا يبدولنا أن الملك الناصر لم يستفتى الفيروز أباذى إلا لعلمه المسبق ان جوابه سيكون لصالح الصوفية حيث كان الفيروز اباذى يحبذ تعاليمهم ويحسن الظن بهم ومع ذلك فقد اتت الجوابات من أكثر من جهه وكان من بين المجيبين الفقية ابن الخياط الذى عرف بعدائه الشديد للصوفية فكان مطلع جوابه (الذى آن لابن الخياط أن لاتأخذوه فى الله لومه لائم لا يجوز ولا يحل تحصيل كتب الشيخ ابن عربى لاقراءتها ولا اقراؤها فانها مردودة على مصنفها)[2] وهكذا كان جواب ابن الخياط مناقضا لماذهب إليه الفيروز اباذى فكان من المحتم أن يرد عليه بقصد الدفاع عن نفسه ومن بين ردوده الكثيره الرد المشار إليه آنفا بعنوان (الاغتباط لمعالجة ابن الخياط) على أنه أحد ردود ثلاثة أوردها الزجاجى فى كتابه ومن بين الذين تصدوا للرد على ابن الخياط ومناصرة الشيخ مجد الدين الفيروز اباذى قادم آخرا هو الشيخ محمد بن على الشيبى زد على ذلك أن كتاب (الدر الثمين فى مناقب الشيخ محيى الدين) ماوضع إلا بقصد الرد على ابن الخياط وذلك باشارة من أحد رؤسا الصوفية فى ذلك الوقت[3]

---

(١) القارى : مناقب ابن عربى ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٦٨ ويتضح من كلام القارى أن الملك الناصر خصه بسؤال مستقل قوله (مايقول الفقيه فى الكتب المنسوبة إلى ابن عربى . الخ ....

(٣) يقول القارى فى مقدمة كتابه (وبعد فهذه رسالة سميتها (الدر الثمين .... وارسلتها =

ومؤلفة هو الشيخ المرشد إبراهيم القارى وهو أحد القادمين الذين اتوا إلى اليمن خلال معمعة النزاع . وهكذا يتضح لنا أن الوافدون قد لعبوا دورا هاما فى مسئلة النزاع وكانت مشاركتهم الفعلية بالدفاع عن الصوفية فى وجوه خصومهم من الفقهاء عاملا فى ميل الصوفية إليهم وتقريبهم اليهم وقد اجتمع عند الشيخ الجبرتى جمع كبير منهم من مختلف الأقطار وأغلبهم من بلاد فارس الذين كانوا يميلون فى اعتقادهم (إلى العلوم العقلية من غير معرفة بصحيح العقائد وفاسدها)[1] وكان من أبرز هؤلاء الشيخ عبد الكريم إبراهيم الجيلى الذى توفى فى زبيد نحو سنة ٨٢٦ هـ ومحمد بن محمود الكرمانى الذى كان قدومه فى وقت متأخر من حياة الشيخ إسماعيل الجبرتى وقد قام بدور فعال فى القضية حتى أن معاداة الفقهاء للصوفية قد تركزت فى شخص هذا الرجل بما عرف به من جراءه حفزت عليه خصومه .

وعلى العموم فقد تظافرت هناك عدة عوامل على نصرة الصوفية وكانت سببا فى إسباغ الهزيمة على خصومهم الفقهاء فتعرض شيخهم أحمد بن أبى بكر الناشرى لعدة مضايقات (حتى أنهم سعوا به إلى السلطان بكل ممكن من منعه من الفتوى واخراجه من زبيد وإعدام صورته بالكلية فحماه الله من شرهم)[2].

وهذه هى الحالة العامة التى وصل إليها الفقهاء فى مرحلتهم الاولى من النزاع مع الصوفية وهى حالة بؤس وعنا لا يكاد يسلم منها فقية ينكر على الصوفية شيئاً من تعاليمهم .

= إلى الصنو العزيز الحريز الشيخ شهاب الحق والدين احمد بن الرداد الصوفى اليمنى)فهو قد الفه للشيخ احمد الرداد .

(١) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٢) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٠ .

« المرحلة الثانية »

ثم جاءت المرحلة الثانية من النزاع لترسخ سيطرة الصوفية التامة على الموقف بتولى شيخهم الكبير أحمد بن أبى بكر الرداد زمام القضاء العام وهـــو أعظم المناصب الحكومية بعد مرتبة الامارة . وقد ظل هذا المنصب شاغرا مدة طويلة بعد وفاة مجد الدين الفيروز أبادى لم يشغله أحد من الفقهاء حتى سنة ٨٢٠ هـ وكان للملك الناصر ينوى توليته أحد مشاهير العالم الإسلامى وقد ذكر العلامة ابن حجر العسقلانى أن الملك الناصر كان يزمع إعطائه القضاء العام وهو لا يزال فى مصر (وقد تركه شاغرا هذه المدة منتظرا قدومه)[1] ولما لم يحضر[2] رأى أن يتولى القضاء أحد علماء اليمن وكان يتشوق إليه جمع غفير من الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه إسماعيل بن أبى بكر المقرى[3] الذى كان يرشحه لهذا المنصب أكثر علماء زمانه لتمكنه التام من معرفة علم الفقه وتآليفه فيه إلا أن الصوفية راوا فى تولية ابن المقرى زمام القضاء خطرا يهددهم (وخشى بعضهم أن يتمكن ابن المقرى من الانكار عليهم)[4] فما كان منهم إلا أن اسرعوا بطلب القضاء من الملك الناصر للشيخ أحمد بن أبى بكر الرداد وكان هذا من ذوى الحظوة عند الناصر

---

(١) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ س ١٧٨

(٢) وصل ابن حجر العسقلانى الى اليمن قبل هذا التاريخ مرتين الأولى سنة ٨٠٠ هـ والثانية سنة ٨٠٦ انظر مقالنا (العلماء القادمون الى اليمن فى العصر الرسولى) مجلة اليمن الجديد المحرم سنة ١٣٩٤ ص ٣١) .

(٣) كان ابن المقرى يطمع فى تولى القضاء ويقال أن الملك الاشرف عينه للسفارة الى مصر (فأخر ذلك لطمعه فى الاستقرار فى قضاء الاقضية فلم يتم له وكان يرجو قضاء الأقضية فى حياة المجد الفيروز ابادى ويتحامل عليه) (البدر الطالع ج ١ ص ١٤٢) .

(٤) انبأ الغمر

حيث (كان يجالسه فى خلواته ويوافقه على شهواته)[1] بل أن الملك الناصر تزوج ابنته بعد ذلك[2] فأجابهم إلى ذلك . وحول مسألة تولى ابن الرداد القضاء وسعية فيه نقف عند قولين متعارضين الاول يرى أن ابن الرداد (لم يسعى إليه ولا تحيل لاستحصاله ولا خطر فيه ولا تشوق له)[3] ولم يقبله إلا بعد تمنع شديد وقد (وقف الملك الناصر يدعوه إليه ويحضه عليه وهو يعتذر ويستعفى فلا يعذره من ذلك)[4] أما القول الثانى فيذهب إلى أن ابن الرداد كان ممن سعى إليه (وبادر إلى طلبه من الناصر)[5]، وعلى كل فقد ارتضاه الملك الناصر فكان بهذا العمل قد أثار حفيظة الفقهاء الذين أخذوا يلمزون الملك الناصر فى سلوكه ويتهمونه (بشرب الخمر)[6] وعدم المعرفة بحقيقة العلماء[7] وقد اتفقوا جميعا على أن ابن الرداد غير صالح لتولى هذا المنصب الهام فقد كان (مزجى البضاعة فى الفقه عديم الخبرة بالحكم)[8] أما ابن الاهدل فيرى أنه (ضعيف الأهلية لقلة العفة وعدم مراعاة وظيفة العلماء من التنزه .. عن سماع

---

(١) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ ص

(٢) المصدر السابق .

(٣) البريهى : تاريخ البريهى (مخطوط)

(٤) المزجاجى هداية السالك (مخطوط)

(٥) — (٦) أنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٨ .

(٧) من ذلك قول ابن المقرى (معرضا بالملك الناصر فى عدم تفريقه بين شيخ التصوف وشيخ الفقه يقول :

اينصب شيخ للفتاوى فيكم كما الشيخ منكم للتصوف ينصب (ديوان ابن المقرى ٤٩) .

(٨) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٨ .

اللاهي المكروهه والمحرمة)[1] وكذلك ابن المقرى فقد سخر من تولى ابن الرداد القضاء وحاول التعريض به فى ميله إلى الرقص يقول : —

قل قاضى القضاه ياملك العصر   جميعا ونورعين الزمان [2]
وازن الرقص بالقضاه وتخير   ارجح المنصبين فى الميزان الخ..

على ان قضاء ابن الرداد ليس كله سيآت كما يصفه خصومه فهناك بعض الحسنات التى أدخلها على قضائه (كسعيه فى إستخراج الوقف الذى قد كانت الملوك قد ادخلته فى دفاترهم وصرفه مصرفه ورفع (الوفر) الذى كان يقتضه الملوك من الوقف[3] أما قاعدته فى ممارسة القضاء فقد أشار إليها معاصره المزجاجى بقوله (اذا جاءته الخصومات يصرفها إلى نوابه قضاة الشرع المعدة لسماع الدعوى والإثبات وفى بعض القضايا يأتى القاضى إلى مجلسه لتنفيذ الحكم عنده تورعاً منه أن يباشر الحكم بنفسه)[4].

وهكذا يبدوا لنا ان الرداد كان عنده أهلية لتولى هذا المنصب الكبير وليس الأمر كما ذهب إليه خصومه إلا أنه قد اشتط فى حق اعدائه ولم يراعى معهم الانصاف الذى يتطلبه منصبه حتى اصبح توليه القضاء من أكبر المحن التى قاسى منها الفقهاء وقبل الدخول فى تفاصيل أعماله الانتقامية ضدهم نحب ان نشير إلى أن المقاومة من قبل الفقهاء ظلت مستمرة بعد وفاة رئيسهم أحمد بن أبى بكر الناشرى ولم ترهبهم مكانة الصوفية التى وصلوا إليها فى عهد شيخهم ابن الرداد وكان من اعلامهم فى هــذه الفترة ثلاثة أشخاص تزعموا الحركة ضد الصوفيه وهم :

(١) ابن الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧
(٢) ابن المقرى : مجموع ابن المقرى ص ٢٤
(٣) البريهى تاريخ البريهى (مخطوط).
(٤) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط).

١ — محمد بن على بن نور الدين الموزعى المتوفى ٨٢٥.
٢ — إسماعيل بن أبى بكر ابن المقرى المتوفى ٨٣٧.
٣ — كمال الدين موسى بن محمد الضجاعى[1] المتوفى سنة ٨٥١.

فأولهم وهو الشيخ الموزعى كان على جانب كبير من المعرفة لأسرار نحلة ابن عربى وقد قام بنفسه بدراسة كتبه والرد عليها فى مؤلف له

ويقول ابن الاهدل أنه أول الفقهاء الذين باشروا قراءة كتب ابن عربى والرد عليها من نصوصها المستقاه منها . وقد مكنته معرفته من مناظرة أصحاب هذه النحلة فقد ذكر ابن الاهدل أنه ناظر الشيخ محمد بن محمود الكرمانى — احد اتباع ابن عربى فى اليمن — إلا ان المناظرة لم تكن (بحضرة من يميز الحق ويقضى به بل بحضره من هو بصدد المحاباة والمداهنة فى دين الله وعدم التحقيق لاصول الدين وأقول الزائفين)[2] وهكذا فان الموزعى لم يتم له التغلب على خصمه لوجود فئة كانت تناصر الكرمانى واغلب الظن ان هذه المناظرة حدثت فى عهد تولى ابن الرداد القضاء على ان ابن الرداد نفسه كانت له جولة مع الموزعى فى المناظرات وقد استدعاه من قريته إلى مدينة زبيد (فلما وصل اجتمع مع جماعة من الفقهاء والصوفية فى مجلس حافل وطالب ابن الرداد مناظرته فابان الموزعى حجته ببطلان كلام ابن عربى فى كتبه)[3] ويبدوا ان الغلبة هذه المرة كانت للموزعى حتى ان الصوفية (همت بالفتك به فقام لنصرته الأمير محمد بن زياد

(١) هو موسى بن محمد الضجاعي كان من كبار فقهاء عصره تولى التدريس بجامعة زبيد وانتهت إليه رئاسة الفقه والحديث له من المؤلفات (غاية الأمل فى فضل العلم والعمل) وكتاب (الأقوال الواضحة الصريحة) ١٢٢ السابق ذكره.
(٢) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢١.
(٣) البريهى : تاريخ البريهى (مخطوط)

فخلصه منهم)(١) وهكذا لجأ الصوفية إلى القوة فى حين كان عليهم مقارعة الحجة بالحجة ، وما تعرض له الموزعى من قبل الصوفية ليس إلا بداية المحنة والتنكيل بالفقهاء فى عهد ابن الرداد الذى سنعرض له فيما بعد .

أما الشخصية الثانية فهى شخصية ابن المقرى وهو العلم الاكبر فى قضية النزاع حتى كاد ان يغطى احداثها بمفرده دون الاعتماد على غيره وسنجد اسمه يبرز واضحا خلال المرحلتين الثانية والثالثة من النزاع فى حين لا نكاد نجد له ذكرا فى احداث المرحلة الاولى وهذا الأمر سيدفعنا إلى التساؤل عن سر تباطى ابن المقرى فى مناصرة الفقهاء وقد كان فى ذلك الوقت فى سن تأهله المشاركة فى القضية حيث كان قد تجاوز الخامسة والعشرين هنا نجد حقيقة الخبر عند بعض المؤرخين الذين اهتموا بالكتابة عنه فقد اشار إلى هذا التباطى صراحة مناصرة المؤرخ ابن الاهدل بقوله (بعد موت الناشرى قام بالانكار القاضى شرف الدين إسماعيل ابن ابى بكر المقرى ولم يكن قبل ذلك يعرض لشىء من ذلك)(٢) أى أن ابن المقرى لم يكن من المنكرين على الصوفية فى حياة الناشرى وقد كشف لنا عن هذا الجانب المجهول من حياة ابن المقرى معاصرة المزجاجى الذى وقف بنفسه على مخطوط من كتاب (الوصايا)(٣) لابن عربى مع نقولات مختلفة من كتاب (كنه مالا بد منه للمريد) لابن عربى أيضا بقلم ابن المقرى مما يوحى بان ابن المقرى كان يستحسن شيئا من تعاليم ابن عربى بل أنه قد اثناه عليه بكلام حسن فى أول المجموع لتستمع للمزجاجى وهو يخاطب ابن المقرى مذكرا له بهذه

(١) المصدر السابق (مخطوط) .
(٢) الاهدل : المصدر السابق ص ٢١٧ .
(٣) كتاب الوصايا يوجد غالبا بآخر كتاب الفتوحات المكية لابن عربى انظر مثلا طبعة سنة ١٣٢٩ ج٤ ص ٤٤٤ .

القضية يقول (وقد وقفت لك يا أخى على جمع (مجموع) كتبته بخطك مختصرا فيه كتاب (الوصايا) للشيخ محى بن عربى ذكرت فى أول شيئا من كتاب (كنه مالا بد منه) للشيخ محى الدين بن عربى لوقوعه عندك موقعا حسنا فلذالك أثنيت عليه فى أول الترجمة فقلت (الشيخ الإمام العارف بالله محى الدين بن محمد بن عربى نفع الله به) هكذا هو عندى بخطك فى الجمع المذكور)(١) ومن هذه الحجة التى اشهرها المزجاجى فى وجه ابن المقرى يتضح لنا جليا أن ابن المقرى قد تأخر عن نصرة الفقهاء فى مرحلتهم الأولى حتى كان هذا التأخر سببا فى منافرة جماعة له من آل الناشرى الذين أنكروا عليه عدم مناصرته لقريبهم الشيخ أحمد الناشرى وسنجد ابن المقرى أمام هذا الإتهام قد برر موقفه بعذر مقبول وهو انه لم يكن له علم فلسفة بن عربى الصوفية وعلى الأخص تلك التى بثها فى كتابه (الفصوص) وذلك اثناء مصارعه الناشرى للصوفية يقول :

قالوا تعجب آل الناشرى على تخلفى عن أخيهم غاية العجب
وقيل لم أناصره غدات لقى فى القول بالحق مالاقى من النصب
والعذر إنى لم اعثر بمدته على الفصوص وهذا الكفر والكذب(٢)

والمهم فاننا نريد أن نخرج من هذا كله إلى بداية نحددها شأن ابن المقرى فى الإنكار على الصوفية وأغلب الظن انها كانت بعد تولى ابن الرداد القضاء العام فقد آثار فيه استشاره ابن الرداد بمنصب القضا روح الانكار على الصوفية ومن سار سيرهم حتى كان هذا عاملا على التفتيش على مساوئهم والبحث عن فضائحهم الخلقية والدينية إذ ليس من السهل على ابن المقرى أن يترك خصمه يتنعم بهذا المنصب الكبير وهو الذى طالما سعى فى الحصول عليه .

(١) المزجاجى : المصدر السابق
(٢) ابن المقرى : مجموع شعره ص ٩.

ومن هنا أتى سخط ابن المقرى على الصوفية فى شخص ابن الرداد ثم أصبح بعد ذلك عقيدة راسخة عنده يدعوا إليها عن محض الإيمان والنية الخالصة وقد اكتشف هذه الناحية أحد انصار ابن الرداد فذهب إلى أن إنكار ابن المقرى على الصوفية لم يكن إلا بقصد الاساءة لشخص ابن الرداد يقول المزجاجى مخاطبا المقرى[1] (وكأنك ما قصدت بالاطناب فى الطعن فى ابن عربى إلا توصلا لإيلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر الرداد والقدح فيه والطعن فى الطائفة الصوفية وذلك لما نافست من لايقصد منافستك ولا منافسة غيرك) ولعل المنافسة التى يعنيها المزجاجى كانت حول مسألة تولى القضاء العام ولا أظن أن الشيخ ابن الرداد قد تولى القضا بقصد الإغاضه لابن المقرى ومنافسته وإنما كان ذلك منه خشية من أن يتولى هذا المنصب الهام رجل ليس له إلتما يذكر بالصوفية ويبدو أن الفترة الطويلة التى أعقبت وفاة الفيروز اباذى وجعل القضا العام شاغرا كانت قد أبانت ابن المقرى كشخص معارض للصوفية وإلا لما كان ابن الرداد قد سعى فى القضاء بقصد إزاحة ابن المقرى عنه .

وعلى كل فإن بداية معارضة ابن المقرى للصوفية مسألة تحتاج إلى نصوص صريحة تبين زمنها التاريخى وبالرغم من أن جامع ديوانه قد أشار إلى أول قصيدة قالها فى الرد على الصوفية[2] إلا أنه أغفل تاريخها وبذلك يكون قد أضاع علينا آخر دليل معاصر يمكن أن نتشبث به حول بداية ابن المقرى مع الصوفية ولم يبق أمامنا سوى أن نجعل من معارضة ابن المقرى لابن الرداد بداية لإنكاره على الصوفية عموما وقد بدأت أولا على شكل مقطعات شعرية كان يقولها فى ذم

(١) المزجاجى : المصدر السابق (مخطوط) .
(٢) ابن المقرى مجموع شعره ص ٤ وهذه القصيدة مطلعها :

برغم سنة خير العجم والعرب — أصبحت مساجدها للهو واللعب

الصوفية ثم طورت إلى أن أصبحت مشاركة فعلية مع رجال النزاع الذين ناهضوا الصوفية وقد كان ابن المقرى قد شن حربا على الصوفية اثناء تولى ابن الرداد القضاء العام كما رأينا ذلك فى أكثر من حادثة تاريخية أشار إليها المؤرخون ويقول ابن الاهدل أن ابن المقرى قبل أن يتصدى الرد على الصوفية استأذن فى ذلك السلطان الناصر فوعده السلطان بالقيام فى نصرة الحق ان اجمع القضاة على انكار أفكار الصوفية الشاطحة ووعده باتلاف تلك الكتب)[1] وقد كان هذا الموقف من قبل السلطان الناصر بداية حسنة بالنسبة لابن المقرى وشجعه على مواصلة السهر فى مناهضة الصوفية لجمع كراسة كبيرة فيها كل الأقوال التى خرج بها الصوفية عن قاعدة الشريعة ثم عرضها على الفقهاء (فافتى بتكفيرهم أكثر فقهاء الوقت بناء على ما جمعه ابن المقرى)[2] ويعلق ابن الاهدل على موقف بعض الفقهاء خلال سعى ابن المقرى فى جمع الفتاوى بشأن الصوفية أن (بعضهم أطلق التكفير وبعضهم علق بصحة ذلك وبعضهم أحجم عن الجواب مراعاة لابن الرداد إذ كان ذلك فى حياته)[3] وهكذا فان ابن المقرى استطاع أن يجمع نصوصا كثيرة من فتاوى العلماء بلغت ثلاثين فتوى من ثلاثين عالما كما يتبين لنا ذلك من شعر ابن المقرى :

فهذا كتاب الله بينى وبينكم — يخزى محيا المكابر
وهذى خطوط الاتقياء ذوى الهدى — وأهل العلوم النيرات الزواهر
ثلاثين حبرا كلهم عند ربهم — مكين أمين غير خب مغامر[4]

(١) ابن الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧
(٢) ابن الاهدل : المصدر السابق ص٢١٦ وتحفة الزمن (مخطوط) .
(٣) ابن الاهدل : تحفة الزمن مخطوط .
(٤) ابن المقرى مجموع شعره ص ١٨

وكان هذا التحرك النشيط من قبل ابن المقرى دافعا قويا لقيام ابن الرداد بمجابهته والرد عليه فى مؤلف مستقل لعله كتابه المسمى (الشهاب الثاقب فى الرد على بعض أولى المناصب) وكان ذلك منه بقصد أحباط مسعاه عند الملك الناصر وقد احتفظ لنا ابن المقرى بشىء مما كان يرد عليه خصمه فى كتابة المذكور من ذلك قول ابن الرداد ان ابن المقرى فى نقده للصوفية ليس إلا مغتابا فيجيبه صاحبنا :

هل الأمر بالمعروف عندك غيبة   وهل سب عرضا من نهى عن منا كر(١)

وينفى ابن المقرى عن نفسه الدعوى بتكفير ابن الرداد التى يتهمه بها فيقول:

ففى أى بيت قلت أنك كافر   وما كان هذا القول منى بصادر(٢)

وفى نهاية الأمر يسخر ابن المقرى من تأليف خصمه فى الرد عليه ويقول له (هلا استشرت أحدا من الناس عند تأليفه) .

فهلا استشرت الناس عند كتابه   فما كنت تخلو من نصيح مشاور
ولو اعطى المعطى كتابك رشده   طواه على غراته والمكاسر
واخفاه لكن ما لمغطى بعورة   إذا كشف البارى غطاه بساتر(٣)

وسنجد ابن المقرى يذكر خصمه بكثير من المواقف التى وقف فيها معارضا له بقصد المعارضة لا غير كخذلانه عند السلطان بشأن مساعدة مسلمى الحبشه وملكهم المحاصر من قبل اعدائه الكفار :

اتذكر إذ شمرت ذيلك ناهضا   لخذلان سعد الدين يوم التناصر
وقد جاء علم أن كفار قطره   غشوه وقد اضحى ببعض الجزائر

(١) المصدر السابق ص ١٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٦
(٣) المصدر السابق ص ١٦

فناديت يا للمسلمين رجالكم   ففهت رأيى بل نقضت مرائرى
ونازعتنى عند المليك معارضا   لما جاء فى دفع العدو من أوامرى
وافتيت أن ليس الجهاد بواجب   علينا وقد مالاك بعض الحواضر
فاسقطت اثما عن رجال غررتهم   وبؤت به مثل الرواسى الشماخر
فلو قدرت عن بابه لك غيبه   لفرج بالغارات كرب المحاصر
وطبق ظهر البحر جيشا إليهم   تطير باقلاع الجوارى المواخر
حضرت لاجال حضرن ولو بقى   لهم أجل ما كنت فيها بحاضرى
وظلت سيوف الكافرين تنوشهم   وتطعمهم غرثا الطيور الطوائر
واكبادنا تصلى بنار من الأسى   وأنت بنا تهزا قرين النواظر
تعجبهم من إننى قلت خطبة   أحاول نصر الدين من غير ناصر
ومابى يستهزء بى ولكن بربنا   فما شرعه صنعى ولا من أوامرى(١)

إلى آخر هذه الابيات التى تشرح قضية تاريخية أغفلها المؤرخون من أهل اليمن(٢) وتتلخص فى أن ملك الحبشة المسلم سعد الدين(٣) حوصر من قبل الكفار فطلب من الملك الناصر مساعدته بالسلاح والجنود وقد ايده فى طلبه هذا ابن

(١) المصدر السابق ص ١٧ .
(٢) كل ما ظفرت به حول هذه الحادثة التاريخية هو قول المؤرخ يحيى بن الحسين فى حوادث سنة ٨٢٥ هـ أى بعد طلب ملك الحبشة المساعدة بحو اربع سنوات ـ (فيها قدم ولد سعد الدين المجاهد من الحبشة الى بندر البقعة منهزمين من المشركين ثم دخل مدينة زبيد فنهض اليهما السلطان من تعز واكرمهما وجهزهما بمائتى فرس وما يتبعها .
(٣) هو جمال الدين محمد بن سعد الدين قتل سنة ٨٣٥ (أنظر ترجمة فى انباء الغمر ج٣ ص٤٨٧)

المقرى وحرض الناس بالخطب بقصد التطوع والجهاد إلا ان ابن الرداد وقف له معارضا محتجا فى ذلك بأن الجهاد غير واجب على المسلمين فى تلك الاعصار إلى أن كانت الدائرة على المسلمين وهزم الملك سعد الدين نتيجة لموقف ابن الرداد المعارض ومن هنا رأينا ابن المقرى يتحسر على عدم نصرته ويحمل خصمه مسؤلية تثبيط الهمم من القيام بواجب الجهاد .

وكانت هذه الحادثة فى حقيقتها صورة من صور المنافسة بين الرجلين وقد ربط ابن المقرى بين هذا الموقف لابن الرداد وتنكيله بجمهور الفقها من المنكرين على الصوفية فيقول :

ولا مالقى فى الله منك رجاله ... من الهول فى إنكاره والمحاقر

كمثل ابن نور الدين حياة ربه ... ومثل الحرازى والرجال الأواخر

وكالناشرى الحبر أحمد ذى التقا ... ملكت بما اذيته كل ناشرى

وهكذا يمضى نقد ابن المقرى صاخبا عنيفا فلا يكاد يسمعه خصومه حتى يتحاشونه بالعديد من الردود المصنفه وقد ذكر البريهى أن نقد ابن المقرى على الصوفية اشتهر شهره واسعه حتى (بلغت شهرته إلى مصر والشام) .

« محنة الفقهاء »

وسواء وفق ابن المقرى فى رده على الصوفية أم لم يوفق فإن ابن الرداد استطاع ان يثنى عزم السلطان الناصر عن القيام معه فى وجه الصوفية بعد أن جمع له ابن المقرى الفتاوى المطلوبة فتنصل من كل ذلك ولم يفى بوعده . وهذا يجرنا إلى البحث حول سياسة الناصر التى تعتمد فى كثير من الاحيان على أسلوب المراوغة وعدم تغليب أحد الفريقين المتنازعين على الآخر وهى نفس السياسة التى تبعها والده الملك الاشرف وان كان الاخير له بعض الميل الملحوظ إلى

ناحية الصوفية بل قد رأيناه فى آخر عمره ينحاز كليا إلى جانب الصوفية كما سنرى ذلك فيما بعد .

وهكذا فإن العمل الذى قام به ابن المقرى ومن تبعه من الفقهاء فى التحريض على الصوفية ليس له أثر ايجابى يذكر وكل ما احرزوه هو آثاره الشيخ ابن الرداد عليهم الذى سعى فى التنكيل بهم مدعوما فى ذلك بمركزه الهام وصلته الوثيقة بالملك الناصر فقد ذكر ابن الاهدل أنه لما نجح الفقهاء فى تحريض العامة على الصوفية وشاع (تكفير من يتدين بمذهب ابن عربى فى مدينة زبيد)[١] اتصل ابن الرداد بالملك الناصر وكان فى ذلك الوقت يصطاف فى مدينة[٢] تعز وشكى إليه فعل الفقهاء فخشى السلطان ان تحدث (فتنة بين الفقهاء والصوفية بمدينة زبيد ويحصل فى المملكة حدث[٣]) فاصدر أوامره بتسكين الفريقين إلى أن يعود من مدينة تعز وفى تلك الاثناء اغتنم ابن الرداد فرصة الهدوء النسبى وقام بحمله شاملة لتأديب الفقهاء فنهم (من ضرب ومنهم من اخيف ومنهم من هرب وخرب داره ومنهم من رجع عن تفكير ابن عربى واتباعه)[٤] .

وكان من ضحايا الحادثة الفقيه ابن نور الدين الموزعى الذى مرت بنا مناظرته لابن الرداد فقد سعى هذا فى نزع أسبابه المعيشية وحاول القضاء عليه بكتابة محضر (كتبه عليه قاضى موزع يومئذ وكان من أصحاب ابن الرداد

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢١ .

(٢) كان الاصطياف بمدينة تعز من العادات المتبعة عند الرسوليين وقد اشار إليها العمرى فى موسوعته مسالك الأبصار يقول « ان صاحب اليمن يصيف بتعز ويشتى بزبيد » انظر مسالك الأبصار « قسم خاص بمملكة اليمن ص ٤٦ » .

(٣) الاهدل كشف الغطاء ٢٢١

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

فسلمه الله من شره)(١) ثم أمر بنفيه من بلاده ومن بين المضطهدين الفقيه ابن الحرازى(٢) الذى نفى من اليمن بسبب فتوى قالها فى تحريم السماع كما نستدل من نظم ابن المقرى يقول :

افتى الحرازى بتحريم الغناء فنفى عن البلاد كما ينفى أخو الجرم(٣)

أما ابن المقرى فأغلب الظن ان ابن الرداد لم يستطع أن يمسه بسوء لأسباب تعود إلى شخصية ابن المقرى القوية ومكانته العالية فى الدولة إلا أن بقية الفقهاء قد أصابهم الاذى الشامل فنهم من ضرب ومنهم من نفى ومنهم من سجن وقد أجمل لنا هذا الموقف المؤرخ ابن الاهدل قال عند حديثه عن ابن الرداد (ونصب الخلاف للفقهاء وقته لانكارهم عليه بالشرع وجرت لهم أمور يطول شرحها من السعى إلى السلطان بالاذى والامتحان للفقهاء فوقعوا بسببه فى شدائد)(٤) .

أما ابن المقرى فيصور هذا الموقف بأسلوب شعرى مؤثر فيقول :

فى كل يوم فتى أما يحاط به منهم فيسحب سحب الجازر الجزرى
أم هارب منه قد قامت قيامته فطار فى الأفق لا يلقى له أثرا
تقسمتهم بقاع الأرض فانقذفوا وخلفوا فى القلوب الحزن مستعرا(٥)

ولم ينج الفقهاء مما أصابهم فى محنتهم سوى موت ابن الرداد فى سنة ٨٢١ (فكان موته فرجا عظيما للفقهاء)(٦) .

وبموت ابن الرداد تنتهى جولة ثانية من الصراع بين الفريقين

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢) لم أقف على ترجمة هذا الرجل لعدم ورود أسمه كاملا .
(٣) ابن المقرى مجموع شعره ص [illegible]
(٤) الاهدل تحفة الزمن .
(٥) ابن المقرى مجموع شعره . ص ١٥٠
(٦) الاهدل كشف الغطاء ص ٢٢١ .

فقد الصوفية بموت ابن الرداد أكبر مناصر لهم أمام خصومهم من الفقهاء الا أنه لا يزال هناك من يدافع عنهم بكل قواه وعلى رأس هؤلاء الملك الناصر الذى احتضن اتباع الشيخ ابن الرداد بعد موته ووقف فى وجه كل من ينكر عليهم .

ولم يبق الا اثنان يرجى لواحد متاب والثانى حسام مجرب(١)

فالاول هو الشيخ المزجاجى الذى يتوقف ابن المقرى فى أمره ويرى أنه (صالح وسليم النية)(٢) وإنما كان يحسن الظن بابن عربى ويرغب فى تعاليمه عن جهل بحقيقة أمره ومع ذلك فهذا الرجل هو الذى تصدى لابن المقرى فى مؤلف ضخم كتبه قبيل وفاة ابن الرداد باشهر قليلة وسنعرض له فيما بعد .

وأما الثانى فلا شك أنه يعنى به الكرمانى وقد كان ابن المقرى يقول بتكفيره منذ مدة وقد دعى إلى قتله فى أكثر من قصيدة موجهة إلى السلطان على اعتبار أنه (يعتقد مقالات ابن عربى ويعرفها باعيانها(٣) وهؤلاء هما شخصى النزاع اللذان ترأسا المعركة من قبل الصوفيه وسنجدهما قد استعملا نفس السياسة التى سار عليها سلفهم من الصوفية أمثال الجبرتى وابن الرداد فى التقرب إلى السلطان والاستعانة به فى مجابهة خصومهم من الفقهاء فقد كان المزجاجى على الرغم من أنه صاحب ثروة ويسار إلا أنه لم يترك جانب السلطان فى الاستعانة به على خصومه وكذلك الكرمانى (٤) .

---

(١) ابن المقرى مجموع شعره ص٤٦
(٢) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط)
(٣) الاهدل المصدر السابق
(٤) الاهدل المصدر السابق ويقول البريهى فى حديثه عن الزجاجى (وصحب الملك الاشرف وابنه الناصر وكانت له منزله عندهما)

وقبل الدخول فى تفاصيل احداث النزاع التى اسفر عنها تحرش الفريقين بعضهم البعض نحب أن نقف قليلا عند طبيعة العلاقات التى ربطت بين رئيسى النزاع فى هذه المرحلة من ناحية الصوفية والفقهاء واعنى بهما المزجاجى وابن المقرى وقد ابان عن هذه العلاقات كل من الرجلين فى الردود التى تخللت النزاع وأنت تجد ابن المقرى قد صرح بصداقته للمزجاجى فى أكثر من مقطع كقوله .

وما عجبى من أعجمى[1] وبغضه	ادين بفضل العجم لا العرب معرب
فذاك عدو والشهيد محمد	ولكننى من صاحب لى اعجب[2]

ويذكر من مفارقته له بعد نزاعه معه فى مسائل التصوف فيقول :

فعادتيه فى الله من بعد مامضى	لنا زمن وهو الصديق المحبب
وجانبته إذ لم يكن لى مخلص	من الله إلا هجرة والتجنب
وما كنت ارضى هجره وفراقه	ولكن رضىء البارى أهم وأوجب[3]

فابن المقرى يؤكد صداقته للمزجاجى فى كثير من نظمه حتى فى تلك المقطوعات التى نلمس فيها نقده اللاذع له .

أما المزجاجى فنجده يذكر ابن المقرى متبوعا بلفظ اخى وصديقى)

إذن فهناك صداقة بين الرجلين لاشك فيها إلا انها سرعان ما أستحالت إلى عداء سافر على أثر اختلافهما فى المبدأ وقد توج هذا العداء بمؤلف المزجاجى المسمى (هداية السالك إلى اسنى المسالك) فى الرد على صديقه ابن المقرى وهو

---

(١) يعنى به الكرمانى .
(٢) ابن المقرى : ديوان شعره ص ٤٢
(٣) المصدر السابق ص ٤٧ .

مؤلف ضخم فرغ من تأليفه فى (أواخر شهر جمادى الاولى من سنة ٨٢١)[1] أى قبل وفاة شيخه ابن الرداد بنحو خمسة اشهر فقط[2] .

وقد طالع ابن المقرى هذا الكتاب الذى خصص فى الرد عليه وحاول نقده فى العديد من قصائده التى حفل بها ديوانه ومن خلال ماجاء فى رد ابن المقرى نستشف كثير من القضايا التى عالجها المزجاجى .

فقد اشار ابن المقرى — أولا — إلى هذا الكتاب وحاول تسفيه ماجاء فيه بقوله : —

وصنفت شيئا عنه قد كنت فى غنابه	فى الاناشخت وفى الأرض اشخب
وفيه روايات نات سقيمه	ولا حكم ان صحت عليها يرتب
خرافات ليل والخرافات للنساء	ورؤيا منام والمنامات تقلب[3]

ثم يعرض إلى تلك الروايات التى يكررها المزجاجى فى ثناء العلماء على ابن عربى ويحاول ابن المقرى ان يعتذر لهم بأنهم لم يعرفوا حقيقة هذا الرجل وقد غرهم باسم التصوف .

ذكرت رجالا قات اثنوا بصالح	على شيخكم والبعض شكوا واضربوا
فهيهات ما مثن ولا ساكت درى	بما عنه معكم فى المجالس يخطب
ولكنه باسم التصوف غرهم	فظنوا والصوفى صلاح ومنصب[4]

ويعرض لتكذيب المزجاجى له فى روايته التى قال فيها ان كتب ابن عربى حرقت فى مصر وذلك كأن يقول المزجاجى مخاطبا ابن المقرى (وأما قولك

---

(١) المزجاجى هداية السالك مخطوط .
(٢) توفى الشيخ ابن الرداد فى شهر ذى القعدة سنة ٨٢١ هـ
(٣) ابن المقرى : ديوان شعره ص ٤٤ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٤ .

فى القصيدة الرائية ان كتب ابن عربى حرقت فى جميع الأرض فحاش لله ويأبى الله ذلك ماسمع بهذا فى بلد من بلاد الاسلام فكيف فى جميع الأرض العاقل مثلك لا يتكلم بكلام مجازفة لا أصل له فى كتاب من كتب العلماء المعتبرين ولا فى تاريخ من تواريخ المسلمين)[1] هنا نجد ابن المقرى يرد على المزجاجى مؤكدا قوله السابق فى رائيته فيقول .

بل ثقة من مصر قال رأيته[2] ... يطاف به فى عنق كلب ويسحب[3]

ويفند قول المزجاجى فى نصيحته له (مالك يا أخى والصوفية وعلومهم لهم علوم وأحوال ومكاشفات من عند الله فما أنا وأنت من خيل هذا الميدان اتركهم وعلومهم واشتغل بما يعنيك)[4] لنستمع لابن المقرى وهو يرد عليه فى هذه النقطة:

فان قلت لا أنتم ولا أنا عارف ... بمقالة بل مقصد الشيخ أغرب

نقل لك لم تكذب بما أنت واصف ... لنفسك لكن أنت فى الغير أكذب

فان هنا لو كنت تعقل من بهم ... تدر ضروع المشكلات وتحلب

إذا كنت لا تدرى فدع ما جهلته ... وقلد رسول الله تنج وتصحب

---

(١) الزجاجى هداية السالك مخطوط

(٢) يعنى به كتاب الفصوص لابن عربى .

(٣) ابن المقرى ديوان شعر ص ٤٤ وفى القصيدة السابقة التى رد عليه المزجاجى فيها يقول ابن المقرى :

أما حرقت فى مصر والشام كتبه ... باجماع أهل العلم باد وحاضر

ويؤيده فى ذلك أن البلقينى قاضى مصر فى عهد ابن المقرى كان من خصوم أتباع ابن عربى فلا نستغرب أن يقوم بحرق كتب ابن عربى .

(٤) الزجاجى : هداية السالك مخطوط .

عرفنا كلام الله جل جلاله ... فدع ما يقول الأعجمى المتعرب[1]

يقول مخاطبا المزجاجى : إذا كنت لا تدرى ما يعنيه شيخك ابن عربى فأن من هذا كله أن تتجه إلى الكتاب والسنة فهو أولى من تقليد ذلك الشيخ الأعجمى ويعنى به الكرمانى) .

وهكذا يمضى ابن المقرى فى تنفيذ حجج خصمه الواحدة تلو الأخرى .

وقد أصبح ذلك الكتاب الذى وضعه المزجاجى فى الرد على ابن المقرى صورة من مخلفات المعركة بين الفريقين فشهر أمره وعلى وجه الخصوص أثناء النزاع المحتدم بينهم واختلفت الآراء حوله فالفقهاء يرون فيه أنه (احتوى على حكايات وخرافات)[2] ومنهم من يشكك فى نسبته إلى المزجاجى وقد زعم الأهدل أنه (استعان فى تأليفه ببعض المتفقهيه)[3] .

والآن — بعد أن عرضنا لنماذج — من الجدال المستعرين المزجاجى وابن المقرى — سنجد أن الصوفية لم يكتفوا فى خصومتهم مع الفقهاء بمجرد الردود الكتابية فقد سعوا بكل ثقلهم عند السلطان الناصر بقصد إذية ابن المقرى وقد سبق ذلك عدة وشايات على شكل قصائد أرسلت إلى السلطان تزعم أن ابن المقرى لم يكن يعنى بشكوا الزمان سوى التعريض بمكانة السلطان نفسة ونسمع أحدهم — وهو ابن رويك — يقول فى آخر قصيدة أرسلها إلى الملك الناصر معرضا بابن المقرى .

لا يشتكى ريب الزمان معرضا ... بك إذ بدا من غيره تعريض

لا يجحد النعماء ولا هو يدعى ... حق العلو وأنه مخفوض

---

(١) ابن المقرى مجموع شعره ص ٤٥ .

(٢) ابن الأهدل تحفة الزمن مخطوط .

(٣) المصدر السابق (مخطوط) .

ويظن أن له علو ما جمـــه   يشفى بها الأمراض وهو مريض(١)

محنة ابن المقرى

وبهذه الوشاية وغيرها هيأ خصوم ابن المقرى الجو المناسب للايقاع به عند الملك الناصر فما أسهل من التأثير على شخص مثل الناصر بما عرف به من تقلب فى قبول الأشياء ورفضها وقد وقع هذه المرة تحت تأثير جماعة من كبار الصوفية أمثال الكرمانى والمزجاجى اللذان كان لهما ضلع رئيسى فى محنة ابن المقرى وقد ذكر الأهدل أن الملك الناصر لما قرب إليه الكرمانى (قبل منه وشايته فى ابن المقرى)(٢) وسرعان ماتحول من صديق مخلص إلى عدو مبين . فأخذ ابن المقرى حذره من تحرك الملك الناصر ضده حتى إذا أرسل جنده إلى منزله بقصد القبض عليه نجد ابن المقرى قد فر مختفياً إلى قرية بيت الفقية فى حمى المشائخ بنى عجيل فلم يستطع الناصر من أن يمسه بسوء ويقول ابن الأهدل فى وصف هذه الحادثة (أرسل الملك الناصر من هجم على منزله بالنخل وقبض العسكر جماعة من الطلبة وسلم ابن المقرى ومنزله وكتبه ولم يؤخذ له شىء)(٣) وهكذا لم يراعى الملك الناصر فى صديقه القديم علمه ولا شيخوخته وكان قد ناهز الثمانين سنة(٤) فقبل من ابن الكرمانى سعايته فيه ولعل ابن الكرمانى وإضرابه من الصوفية وجدوا فى القصيدة التى يقول فيها مخاطباً الملك الناصر .

كلا ودين الله أفضل ما تكلا   وأفضل ما أمنت فى نهجه السبلا

(١) أورد نص هذه القصيدة جامع ديوان ابن المقرى ص ٢٤٤ .

(٢) الأهدل : كشف الغطاء

(٣) الأهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٤) يقول فى آخر قصيدة أرسلها إلى الناصر قبل هروبه :

خذ نصح من دانا الثمانين سنة   وذلك عمر من يقاربه فلا

ديوان ابن المقرى ص ٥٦

فذنبك من دين الآله مقدم   على كل شىء دق عندك أم جلا

ومــا أنت إلا نائب الله فى الورى   فلا ذقت يوما من نيابته عزلا

إلى أن يقول :

فوالله لا حابيت فى دينى أمرأ   ولا صانعت نفسى بخالقها خلا(١)

.... وجدوا فيها منفذا لإغاضة الملك الناصر عليه وقد أشار إلى هذا جامع ديوانه فذكر أن هذه القصيدة هى التى (حصلت عليها الفتنة فى نخل وادى زبيد)(٢) .

ومهما يقال فى أسباب نقمة الناصر على ابن المقرى فان هناك عدة عوامل تجمعت لتشكل ذلك الغضب ومن أهمها السعاية السيئة ضده وسوابقه الكثيرة فى مناهضة الصوفية وقد ظل طيلة حكم الناصر معارضا للصوفية مما سبب له النقمة . على أن ابن المقرى لم يقطع كل وشائجه بالسلطان فكان يراسله وهو فى منفاه بالقصائد العديدة ويستعطفه فيها ويحثه على العفو كقوله فى قصيدة إليه :

ولقد فقدت وأنت أعلم منكم   إنسا ولطفاً ما به تعويض

ورضى وفقد رضاك ليس بهين   عندى فيحسن منى التفويض

والله لولا ما تحدثنى المنى   عنكم وما علمى به ممحوض

ما عشت إلا ريثما يمضى القضا   وبقى ينقص بنية تقويض(٣)

وما زال ابن المقرى يراسل الملك الناصر بمثل هذا الشعر حتى عطف عليه وعفى عنه ويقال أنه خشى من التجائه الى الامام على بن صلاح الدين الامام فى ناحية الجبال (ونقل عن الناصر أنه قال أن يطلع ابن المقرى الى الجبال كفرونا

(١) المصدر السابق ص ٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٥٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥

واستحطوا أهل بلادنا جمله)[1] ومن ثم كان تقريبه لابن المقرى مدار له منه وخشية من التجائه إلى الإمام الذى لاشك أنه سيعتبر لجوء ابن المقرى اليه كسبا سياسيا كبيرا وذلك لشهرة ابن المقرى فى ذلك الوقت وموافقته له فى الإنكار على الصوفية لذا فان الملك الناصر لم يترك هذه الفرصة لخصمه اذ سرعان ما استدعاه الى زبيد ولم يمضى على هروبه سواء (سنة واحدة) [2] .

وعدما عاد ابن المقرى إلى زبيد كان الملك الناصر يعيش آخر أيامه وقد بدا المرض يناوبه فلم يتبع مسألة الصوفية وصلت الامور راكده إلى امد قصير وكل ما نسمعه من ابن المقرى فى هذه الفترة بضعة أبيات يبكت فيها جماعة الفقهاء الذين وقفوا فى محنة موقفا سلبيا فلم تكن لهم ادنى مشاركة فعلية وقد اعادد إلى اذهاننا صموده وحيدا اثناء المعركة فى ابيات قالها :

وقت وحدى ادعوا بين اظهركم ... فلم يجبنى امره منكم ولم يثب[3]

بل ان من الفقهاء من لم يكتفى بالسكوت فوقف مع الصوفية معارضا لابن المقرى وهم جماعة دبجوا عدة فتاويات تدمغ الفتاوى التى جمعها ابن المقرى وتذهب إلى تأييد الصوفية وقد اشار اليهم ابن المقرى بقولة — مخاطبا الملك —

ولا تصغ الفتوى التى نطقت بها ... رجال هوى حابوا رجال هوى شكلا[2]

وكان من ابرز هؤلاء العلماء الذين انحازوا إلى الصوفية الفقيه على بن محمد بن فخر

---

1) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢ وديوان ابن المقرى ص١٤٦

(٢) المصدر السابق ص ١٤٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٩

(٤) المصدر السابق ص١٥٥

الذى نجد له ترجمة عند البريهى والسخاوى[1] وقد ذيل على كراسة ابن الكرمانى بالموافقة على تعاليم الصوفية فكان هذا العمل مبعث سخط شديد عند ابن المقرى حتى أنه أرسل الية قصيدة ينكر علية موافقته تلك جاء فيها :

بعت الهدى واعتضت منه ضلاله ... نعم المبيع وبئس ذاك المشترى

أعلى شفير القبر قمت تبيعه ... ولو استعضت به الخلود لتحشرا[2]

ومن الفقهاء من انحاز نهائيا إلى جانب الصوفية وكان حربا على جماعته أمثال يحيى بن روبك[3] الذى وقف ضد ابن المقرى وظل يتحرش به عند السلطان بالعديد من القصائد رغبة منه فى موافقة الصوفية على معتقدهم والدفاع عن رجالهم أمثال الكرمانى وغيره . وقد كان ابن روبك من طائفة الفقهاء بدليل أنه كان ينكر فى أول أمره تعاليم الصوفية يقول المقرى[4] :

ما كنت تروى يا ابن روبك قولهم ... إلا رواية منكر غضبان

---

(١) ترجم له بقوله على بن محمد بن عبد العلى بن فخر العكى الزبيدى ولد سنة ٧٥٨ هـ وتقدم إلى ان صار مفتى زبيد وفقيهها والمرجوع اليه فى ذلك الوقت واكبر مفتيها سنا واخذ الناس عنه وهو أول من ولى من الشافعية أمامه مسجد الاشاعر بها سنة ٧٧٩ توفى سنة ٨٤٢ هـ وفى تاريخ البريهى ورد ذكر كتاب له بعنوان (الظاهرى) صنفه باسم السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل الرسولى فى الفقه . وترجم له أيضا ابن حجر فى (ابناء الغمر) والمقريزى فى (السلوك) (الضوء اللامع ج ٥ ص ٣١٢) .

(٢) ديوان ابن المقرى ص٣٧ .

(٣) ترجم له السخاوى بقوله (أبو محمد يحى بن روبك شيخ النحاة فى عصره باليمن تفقه بصنعاء ثم استوطن تعز ومدح الملوك وقامت له رياسه معهم . وكان على طريقه العرب فى ارتجال شعر مات سنة ٨٣٥ فى نخل وادى زبيد ودفن هناك (الضوء اللامع ١٠ ص ٢٢٥).

(٤) ديوان ابن المقرى

فعلام قمت على الآله مغضبا   متظاهرا بكرامة الكرمانى
ما كنت أحسب أن دينك دينهم   أبدا ولا صدقت غير الآنى

ويعمد المقرى إلى أذية ابن روبك له بالتحريض عليه عند السلطان فيقول[1]

ثم ابن روبك قائم من دونه   وعادع بالشعر للسلطان

وقد استمرت العداوة بين الرجلين أمدا طويلا حتى آخر مراحل النزاع بين الفقهاء والصوفية فى عهد الملك الظاهر يقول ابن المقرى[2] .

قل لابن روبك لم لأعداء ربنا   منك الوداد وللوالى الشناة
حاربتنى إذ قلت ربك واحد   ونصرته إذ قال هو عدة

على أن ابن المقرى ما كان سيهتم بالرد على ابن روبك لولا أنه وجد له نفوذ كبير عند رجال الدولة الرسولية وذلك باعتراف ابن المقرى نفسه الذى نسمعه يقول للملك الظاهر :

ورأى ابن روبك أنه فى وقته   وجه وكلمته بكم مسموعة[3]

(موت الملك الناصر وتحسن حالة الفقهاء)

بعد موت الملك الناصر[4] يطالع الفقهاء عهد جديد من الأمن والحرية وقد انزاح عنهم أكبر عقبة فى سبيل إصلاحاتهم الدينية إلا أن الصوفية فقدوا بموت الملك الناصر أكبر صديق لهم ومدافعا عن قضيتهم وقد رأيناه فى آخر عمره ينحاز إليهم انحيازاً تاما ضد خصومهم من الفقهاء وقد كان هذا دافعا رئيسيا لنقمة الفقهاء

(١) المصدر السابق
(٢) المصدر السابق ٣٤١
(٣) المصدر السابق ص ٣٤١
(٤) توفى الملك الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل فى حصن قوارير ودفن بمدينة تعز فى ١٦ جماد الاخرة .

عليه فقد وصفوه بأشنع الأوصاف ومنهم من أرجع سبب موته إلى نقمة إلهية نزلت عليه يقول ابن حجر العسقلانى — وهو فقيه عاش فى مصر إلا أنه كان يتابع قضية النزاع فى اليمن عن كثب — (وكان الملك الناصر فاجراً جائراً مات بسبب صاعقة نزلت على حصنه المسمى (قوارير) فارتاع من صوتها فتوعك ثم مات)[1] أما ابن الاهدل فيصفه بأنه أكثر من شرب الخمر وقرب إليه المبتدعة حتى (ضاقت منه صدور الناس)[2] وهكذا فإن موت الملك الناصر يعد من النعم الكبرى على الفقهاء .

وقد خلفه فى الحكم ابنه الملك المنصور ٨٢٩ — ٨٣٠ هـ الذى اخذ من سيرة والده مع الفقهاء والصوفية العبره اذ سرعان ماقرب اليه جمهور الفقهاء واحسن اليهم وكان على رأس هؤلاء الفقيه ابن المقرى الذى عطف عليه وضمه إلى جلسائه[3] .

وكان ابن المقرى قد سعى بعد تولى الملك المنصور الحكم مباشرة فى العمل ضد الصوفية إلا أنه وقف أمام عقبة كادا حيث كان الصوفى الكبير محمد بن محمد المزجاجى بما له من مكانة قصوى فى المجتمع اليمنى قد أحبط كل مساعى ابن المقرى ضد الصوفية وهكذا كان على ابن المقرى أن يترك القضية برهة من الزمن حتى طالعته الأخبار ذات يوم بموت المزجاجى فى ٢٤ ذى القعدة سنة ٨٢٩ هـ ولم يمضى على حكم المنصور سوى سنتين فيكون موت هذا العلم أكبر قاصمة لظهور الصوفية إذ بموته فقدوا آخر شخصية تنافح عنهم وكان على الصوفية من أتباع ابن عربى أن يجابهوا الموقف بمفردهم وقد أصبحوا عرضه

(١) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ ص ٣٣١
(٢) غاية الأمانى ص ٥٦٦ .
(٣) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢

حملات الفقهاء عليهم بعد أن وجد الفقهاء من رجال الحكم إذناً صاغية لتحرشاتهم بهم وسيتضح لنا ذلك جلياً في المجابهة العلنية بين ابن المقرى والكرمانى من الصوفية .

وقبل الدخول في تفاصيل النزاع بين الرجلين يجب أن نعطى القارىء لمحة عن حياة الكرمانى الذى يعتبر آخر أتباع ابن عربى فى اليمن خلال تلك المرحلة وهو أحد القادمين إلى اليمن الذين أتوا منذ مدة مبكرة ولم يفصح أحد وأغلب الظن أنه جاء قادماً من مدينة كرمان(١) الواقعة فى إيران كما يظهر من نسبته إليها من مترجميه عن الوجهة التى أتى منها وهو من العجم (الفرس) كما يشير إلى ذلك شعر ابن المقرى وقد حمل معه من تلك الجهات(٢) نزعة التصوف الفلسفى الذى كان سائداً فى إيران ونواحيها ومن مترجميه من ذهب إلى أنه كان يعرف فلسفة ابن سيناء(٣) وعندما نشر هذه الفلسفة فى زبيد اصطدم مع شيوخها الذين لم يكن لهم بها عهد(٤) فنشأ معهم نزاع إلا أنه استطاع بدوى

---

(١) كرمان مدينة فى إيران قاعدة الإقليم الثامن حالياً مساحتها ١٢ ألف كيلو متر وهى مركز تجارى هام شهيرة بصناعة الانسجة القطنية والصوفية والسجاد (المنجد فى الاعلام ص ٤٣٣) .

(٢) نبغ من تلك الجهات من الفلاسفة جماعة من أشهرهم حميد الدين الكرمانى الفيلسوف الاسماعيلى .

(٣) السخاوى الضوء اللامع ج . . .

(٤) وقد وقعت مثل هذه الحادثة قبل هذا التاريخ بنحو قرنين عندما جاء إلى اليمن الزكى ابن الحسن البيلقانى ومعه شىء من علوم الفلسفة كالمنطق وغيره يقول بامخرمة فى وصف حادثته تلك مع الفقهاء (كان أول وصوله إلى عدن لم يتعرض لذكر الأصول (الفلسفية) والمنطق وإنما تظاهر بإقراء كتب الفقه فقراءعليه القاضى يومئذ وهو محمد بن أسعد المنسى (وجيز)=

التصوف أن يجذب إلى ناحيته شيوخ الصوفية الذين كان لهم نفوذ كبير وقد قربه إليه الشيخ إسماعيل بن أبى بكر الجبرتى ومن بعده خليفته أحمد الرداد والمزجاجى فكانوا سنداً له ضد هجمات الفقهاء عليه . وكم نود أن نظفر بمرجع يشرح فلسفته الإلهية اولا اننا لم نوفق فى العثور على شىء من ذلك وكل ما عثرنا عليه فى هذا الصدد نتف متفرقة جاءت على لسان خصومه من الفقهاء وهؤلاء يجب أن لا نعتد بأقوالهم فى معرفة فلسفة الكرمانى لتحاملهم الشديد عليه حتى أنه يكاد تختفى كثير من الحقائق عن هذا الرجل .

وعلى كل فليس أمامنا سوى الرجوع إلى مصدر الفقهاء لعدم وجود ما يقوم مقامها وسنجد من أبرز هؤلاء الفقهاء الذين تعرضوا لفلسفة الكرمانى العلامة ابن المقرى الذى أطنب فى الرد عليه ودعا إلى تكفيره بل إلى قتله كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد وقد أشار إلى متفرقات من فلسفته أثناء رده عليه من ذلك عرض ابن المقرى لرأى الكرمانى فى النبوة وأن موسى كان عجولا بخلاف فرعون الذى يغلب عليه الحلم والأناة يقول(١) .

=الغزالى ثم لما وجد عند السلطان إقبال عليه أظهر فلسفته وإقراء المنطق فانكر عليه القاضى المذكر ولأن الغالب على فقهاء اليمن عدم الاشتغال بالمنطق خاصة ثم أن القاضى المنسى هجر البيلقانى ونابذه واستطار الشقاق بينهما ولم تطلب نفس القاضى بتدريس ابن البيلقانى فى المدرسة المنصورية فسعى إلى إخراجه منها وقال للسلطان المنصور هذا رجل جاء بشىء لا يحتمله أهل اليمن ولا يعرفونه وإذا سمعوه أنكروه ونسبوا صاحبه إلى الخروج عن الدين) (أنظر تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ٨٠) .

(١) ديوان ابن المقرى ص ٣٩ .

وحقرتم من عظم الله قدره ... وعظمتم ما حقر الله من قدر

كقولكم موسى عجول ووصفكم ... لفرعون بالرأى المرجح والحجر

كما أنه عاب على إبراهيم تصديقه الرؤيا بذبح إسماعيل وأنكروا عليه اتباع رؤيا بل أنه خرج من هذا القول إلى نفى صدق رؤيا الأنبياء جميعهم بما فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

ورؤيا الخليل الذبيح قلتم بنفيكم ... لرؤياه تأويل ولكن لم تدرى

وقلتم منام فى منام لكل ما ... أتى من رسول الله والنهى والأمر(١)

أما رأى الكرمانى فى الألوهية فهو يذهب فيه إلى أن الألوهية والعبودية كلتاهما محتاجة إلى بعضهما البعض وأن الله سبحانه لا يستغنى عن عباده وهو محتاج إليهم بالطبع(٢) .

وقلتم بأن الله جل جلاله ... على حال محتاج إلى الخلق مضطر(٣)

وإذا كان ذلك معتقد الكرمانى فلا فرق عنده بين عبادة الله وعبادة الصنم وشبهه بالخلق جهلا وقلتم ... عبادته مثل العبادة للصخر(٤)

وفى النهاية ينعى ابن المقرى على خصمه بثه فى الناس فلسفته الإلحادية وتشوى عقائدهم :

فتنت وأوجعت الورى فى إلههم ... بما لا يطيق المرء فيه على الصبر(٥)

ثم يقول له إنى لم أعاديك لشخصك وإنما لما جئت به من عقائد فاسدة فى مسألة البارى والأنبياء .

فوالله ما عوديت بغيا ولا هوا ... ولا فى سوى البارى ومرسله الطهر(٦)

---

(١) المصدر السابق والصفحة

(٢) المصدر السابق (نفس الصفحة) .

(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ديوان ابن المقرى.

(مصادرة الرمكسانى)

وإذا كنا قد عرضنا لفلسفة الكرمانى ـ كما نقلها ابن المقرى ـ فما علينا الآن إلا أن نلقى نظرة على النزاع فى مرحلته الأخيرة وسنجده قد انحصر نطاقه فى شخصين هما الكرمانى السابق الذكر — من جانب الصوفية — وابن المقرى — من جانب الفقهاء — ولم نعد نسمع غير صوت هذين الرجلين .

وقد كان ابن الكرمانى قد فقد . بموت صديقه المزجاجى أكبر مدافع عنه وأصبح فى موقف لا يحسد عليه حيث لم يعد هناك من يحميه الحماية الكفاية ضد تحرشات خصومه من الفقهاء باستثناء بعض الشخصيات البسيطة ذات النفوذ المحدود ومن أبرزهم الأمير شمس الدين على بن الحسام بن لاجين(١) والفقيه يحيى ابن روبك وهؤلاء سينعدم تأثيرهما عند مايقوم ابن المقرى بحملته الجديدة على الكرمانى .

فقد نجح ابن المقرى هذه المرة فى التأثير على الملك المنصور بشأن الكرمانى واستطاع أن يدفعه فى القيام بعمل مضاد حيث نجد المنصور قد أرسل جماعة من جنده للهجوم على منزل الكرمانى ومصادرة ممتلكاته وكان يزمع فى إعدامه لولا تدخل أحد الأمراء فى قضيته فأطلقه بشفاعة هذا الأمير على أن يغادر مدينة زبيد فذهب إلى مدينته بيت الفقيه مستجيرا بشيوخها بنى عجيل .

ولم تمض سوى برهة قصيرة على الحادثة حتى يتوجه الكرمانى إلى تعز وهنا يكون له ابن المقرى بالمرصاد فيثير عليه الفقهاء تمهيدا للقيام بعمل آخر ضده وقد صاغ ابن المقرى صورة استفسار موجه إلى الفقهاء يذهب فيه إلى أن ابن الكرمانى قد خرج عن الدين وأن حكمه هو حكم المرتد ثم طلب من الفقهاء الإجابة عليه فما كان منهم إلا أن كتبوا بالإيجاب وذهبوا فيما كتبه مذهب

---

(١) ديوان ابن المقرى ص ٣٨ .

ابن المقرى من خروج الكرمانى عن جادة الشريعة وكان من بين المجيبين - كما يقول ابن الاهدل - الفقيه الكاهلى والفقيه قاسم الدمنى وصادف فى هذه الاثناء وجود العلامة الاسلامى الكبير محمد بن محمد الجزرى فى اليمن قادما [1] من مكة فكتب حول سؤال ابن المقرى فتوى تذهب مذهب الفقهاء[2] ثم إنها عرضت على سائر علماء اليمن ومن بينهم ابن الاهدل الذى يقول راويا عن نفسه (ثم حملت الجوابات إلينا إلى قرية أبيات حسين فكتبت عليها بجواب أبلغ من الجواب الاول الذى كتبته فى أول الفتنة)[3]، [4] وهكذا تجمعت حصيلة وافرة من الفتاويات كلها تجمع على كفر الكرمانى ومن ينتمى إلى مذهب ابن عربى ثم ثم ان هذه الفتاوى عرضت على الملك المنصور فاقر بما فيها وأمر باحضار الكرمانى لمحاكمته)[5].

وقد اشار إلى هذه المحاكمة ابن الاهدل الذى يقول فى وصف ماشاهده (فاستحضر ابن الكرمانى إلى مجلس الشرع الشريف فاظهر التوبة والرجوع إلى الدين الاسلام)[6].

ثم ان الفقهاء اشترطوا عليه بعد اعلان توبته ان (يهجر كتب ابن عربى[7]) وان يكتب فى ذلك صكا يكون حجة عليه (وكتب بذلك مسطورا قرى على منبر

---

(١) قدم الجزرى إلى اليمن فى سنة ٨٢٨ هـ

(٢) انظر هذه الفتوى فى القسم الخاص بالملاحق .

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢

(٤) انظر هذه الفتوى فى قسم الملاحق . وقد حذفناها بعد تضخم الكتاب وسنثبتها فى طبعة قادمة انشاء الله .

(٥) الاهدل : تحفة الزمن مخطوط

(٦) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢ .

(٧) الاهدل : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

الجامع بزبيد على لسان خطيبها موسى الضجاعى وقرى أيضا على منبر المهجم)[1] ولم ينتهى الامر عند هذا الحد فقد أمر المنصور بنفيه إلى جيزان فظل مختفيا بها طيلة حكمه حتى وفاته سنة ٨٣٠ هـ وبهذه المحاكمة العامة استعاد الفقهاء سيطرتهم على الموقف من جديد ولم يعد هناك من يتابعهم بالنفى والتنكيل أما الصوفية فقد انعكس الحال عليهم وأخذوا يتخفون بتعاليمهم خشية من الفقهاء كما يقول ابن المقرى فى قصيدة يصور فيها حالة الصوفية فى تلك الفترة[2] .

اذا شرعوا فى الاعتقاد تخافتوا   تخافت سراق على الحرز تنقب

من الذل حتى يحسبوا كل صيحة   عليهم فتلقى المرء فى الامن يرغب

فى عهد الناصر الثانى

الا ان هذه السيطرة لم تدم طويلا للفقهاء إذ سرعان ما توفى الملك المنصور فخلفه فى الحكم شاب صغير لايتجاوز سنه الثانية عشر هو الملك الاشرف إسماعيل ابن أحمد فكثر (الاختلاف والفساد فى عصره)[3] فلم يلبث فى الحكم سواء اشهر قلائل ثم قبض عليه العسكر فى مدينة تعز وخلعوه فى نفس السنة التى تولى الحكم فيها .

وعلى الرغم من قصر مدة هذا الملك فى الحكم فقد اغتنم الكرمانى فرصة وجود (الفوضى) بالمدينة فدخل زبيد متسللا[4] وهناك قابل الملك المنصور

---

(١) المصدر السابق . ص ٢٢٢ . ويقول (وهذا المسطور محفوظ عند جماعة من الفقهاء فليقف عليه من اراد ذلك) .

(٢) ديوان ابن المقرى ص ٤٨ .

(٣) غاية الامانى ص ٥٦٧

(٤) يقول ابن الاهدل حول دخول الكرمانى زبيد فى هذه المره (أنه راسل بعض اصحابه زبيد فآنسه (انظر تحفة الزمن مخطوط) .

واستطاع ان يؤثر عليه لصغر سنه وكانت الايام التي قضاها المنصور في الحكم هي الايام الذهبية بالنسبة للكرماني حيث وجد الحرية التامة في اعلان مذهبه الصوفي والتنديد بخصومهم من الفقهاء بل انه اشتغل في هذه الفترة بتصنيف مؤلف في الرد على ابن المقرى صرح فيه برجوعه إلى مذهبه الأول من القول بوحدة الوجود وعبادة الاصنام وغير ذلك(١) حتى ان ابن المقرى لم يسعه إلا ان يضع رسالة صغيرة في الرد عليه وقف عليها ابن الاهدل وقال أنها تقع في نحو عشر ورقات(٢) ثم ان ابن المقرى تابع رده عليه في عدة قصائد كقوله في احداها مخاطبا الكرماني ومذكرا له توبته تحت رهبة السيف :

الم تستتب والسيف ينتضى … وقد دارتا عيناك من شدة الذعر
وكان لنا يوم عظيم ومشهد … به العلماء قد اجمعوا وذوو الامر
وافتوا جميعا ان قتلك واجب … وتركك تغوى الناس من اعظم الوزر
ونوديت من فوق المنابر كافرا … على اروس الاشهاد بالمنطق الجهر
واسلمت خوف السيف كرها فالذى : امنت به حتى رجعت إلى الكفر(٣)

ثم يلتفت إلى الملك الصغير ويحاول ان يحيى في نفسه النخوه الدينية بأن يقول الكرماني هل تظن ان لا ناصر للدين وهذا إسماعيل ليس له شغل سوى الذب عنه .

ظننت بان الدين لا ناصر له … فجئت لكى تشفى به غلة الصدر
كذبت واسماعيل ملأ ثيابه … فان كنت لا تدرى فلابد ان تدرى

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ .
(٣) ديوان ابن المقرى ص ٣٨ .

مليك البرايا والذى ليس همه … سوى الذب عن دين المهيمن والنصر(١)

ويبدو ان الكرماني استطاع ان يؤثر على الملك الاشرف بذكر صلته الحسنه مع والده الملك الناصر وكيف أنه ظل مؤيدا له ضد خصومه من الفقهاء هنا نجد ابن المقرى يعيد إلى ذهن الملك الطفل ان والده لم يمت الا بعد ان تبرأ من اتباع مذهب ابن عربي فيقول(٢) :

وما مات حتى قد تبرأ منكم … وأقصاك عنه من جرالكلب عن حجر
ومات بحمد الله احسن ميتة … يموت عليها من ينعم في القبر
تبرأ عما قلتموه جميعه … بحمد آله العالمين وبالشكر

على أنه يعترف ان الكرماني خدع الملك الناصر برهة من الزمن وهو الآن يحاول خداع ابنه بتحبيذ مذهبه إليه(٣) .

خدعت ابن إسماعيل أحمد مرة … وجرعته شوما أمر من الصبر
وجئت لاسماعيل تبغى خداعه … ايلسع سلطانان ويلك من جحر

ويمضى ابن المقرى يذكر الابن بشؤم الكرماني على والده وأنه كان سببا في هزائم كثيرة نزلت عليه(٤) .

لقد كان سلطان البريه أحمد … إذا صال لم يدفع ببحر ولا مجر
تخلى له أهل الحصن حصونهم … اذا امهم في موكبا لفتح والنصر
فسل عنه نعمانا(٥) وسائل كوابنا(٦) … ودمتا وأطراف البلاد إلى الشحر

(١) ، (٢) ديوان ابن المقرى ص ٣٨ .
(٣) ، (٤) ديوان ابن المقرى ص ٣٨ — ٤٠ .
(٥) نعمان اسم لعدة أماكن في اليمن انظر صفحة جزيره (ص ١٦ وكوابن اهل يعني بها كيان .
(٦) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٣ .

إلى أن غشى شيطان كرمان بابه   وعاض ارباب الشريعة بالمكر

وأول شؤم الخبيث بــــداله   حديث الشوافى وهى احدوثة الدهر

ثم تتالى الهزائم الكثيرة كسقوط زبيد ويافع وعدن وحصن تعز الى غير ذلك وكله بسبب شؤم ابن الكرمانى كما يقول ابن المقرى :

وهكذا وبأسلوب الأطفال يحاول ابن المقرى جاهدا ان يبغض اليه ابن الكرمانى إلا انه اقتنع فى نهاية الأمر بعدم جدوى — مايقول له ابن المقرى فى قصائد زد على ذلك ان البلاد كانت تشهد زوابع سياسة طاحنة تكون سببا فى إزاحة الطفل عن الحكم دون ان تمر عليه سنة واحده .

تولى الملك الظاهر وانتصار الفقهاء

وقد ولى العسكر بعده عمه الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل الذى كان قابعا فى سجون الاشرف فما كان منه إلا أن قرب إليه ابن المقرى وأزاح الكرمانى كمنفيا إلى مدينة بيت الفقيه(1) وذلك منه مخالفة ظاهرة لسياسة الاشرف .
على ان الكرمانى كان ممقوتا من قبل الفقهاء — كما يقول ابن الاهدل —(2) فجاء تصرف الملك الظاهر تجاهه كترجمة فعلية لبغض الفقهاء له وقد اثنا عليه فى هذا العمل ابن المقرى بقوله .

ماكنت الاغارة الله ومن   تطلبه غارة الاله يدرك

اخرجته من مجلس العلم وقد   دنسه بمابه يا تفك(3)

ومكث ابن الكرمانى فى منفاه ببيت الفقيه نحو سنه كان خلال يدأب فى نشر مذهبه الصوفى بين الأهالى وقد بلغ اتباعه فيها إلى نحو خمسين شخصا كما نفهم

(1) الاهدل : المصدر السابق ص٢٢٣ .
(2) الاهدل المصدر السابق ص ٢٢٣ :
(3) ديوان ابن المقرى ص

من احصاء ابن المقرى لهم الذى يقول(1) :

يربى على الخمسين قوم غرهم   قد غدروا امسوا وكل ميت

واقام فى بيت الفقيه فما بقى   لخيارهم ببيت الفقيه بقية

ثم أنه أراد الدخول إلى مدينة زبيد لحضور مجالس افطار الملك الظاهر بجانب العلماء وكبار الدولة(2) فيأتى ابن المقرى ليقف معارضا لطلب الكرمانى ويقول للسلطان (كيف يحل ان يدخل هذا الكافر بين المسلمين)(3) ثم أنه يثير قضية قديمة طالما رددها ابن المقرى وهى مسألة عقيدة الكرمانى ونجده هنا يذكر السلطان بدعوته السابقة فى قتل الكرمانى ويقول له لوانكم ضربتم عنقه فى ذلك التاريخ لكفيتم شره .

لو كنتم امس ضربتم عنقه   لزال عن دين الاله وهك

مافربه عند الآله ادخرت   مثل دم الكرمان حين يسفك(4)

الا ان ابن المقرى يعود فى مخاطبة الظاهر ويقول له بامكانك الان ان تستدرك هذا الأمر وتقدم على قتله (5)

والله ياخير الملوك انها   عظيمة لكنها تستدرك

السيف فى الكف وهذى العلماء   يفتون ان مثله لايترك

وهكذا يثير ابن المقرى قضية ابن الكرمانى من جديد فيدعوا إلى قتله وقد شاركه فى هذه الدعوة جميع من الفقهاء يقول ابن الاهدل : (وجرى

(1) المصدر السابق ص
(2) الأهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .
(3) المصدر السابق (مخطوط)
(4) ، (5) ديوان ابن المقرى ص

فى قتله خوض فى مقام السلطان)(١) فاستدعى إلى مدينة زبيد وعقد الفقهاء مجلس خاص به خيروه فيه بين التوبه أو القتل بالسيف فاختار الأولى وقد انطقه الشهادتين صديقة القديم الفبة على بن محمد فخر(٢) أما ابن روبك فنسمعه فى هذه الأونه يدعوا إلى مناظر الرجلين ابن المقرى والكرمانى — ليتبين أيهما على الحق فيجيبه ابن المقرى قائلا هل يستوى الايمان والكفر ومع هذا فستكون النتيجة فى غير صالح صاحبه لو أن الملك الظاهر استجاب لطلب ابن روبك يقول ابن المقرى :

قال ابن روبك ناظروا ماينهم   ليبين عندك من عليه العمدة

اتراه ظن الكفر كفوا للهدى   فأراد يعرف أى قول أتبع

لو أن ملك العالمين إجابة   ندم ابن روبك واعترته الخجلة(٣)

ويبدوا أن الوشايات قد كثرت حول الكرمانى فى هذه الفترة ولم تعد محصورة فى المجال الدينى إذ تعدته إلى جانب السياسة واتهم بموالاته الثائر العباس بن إسماعيل الرسول أحد أفراد بيت الامارة المطالبين بالحكم(٤) فما كان من صاحبنا الكرمانى إلا أن فر بجلدة سالما إلى جازان وظل بها مختفيا حتى وفاته سنة ٨٤١ هـ .

ويقول جامع ديوان ابن المقرى أن ابن روبك شفع لابن الكرمانى عند

(١) ابن الاهدل : تحفه الزمن مخطوط

(٢) المصدر السابق .

(٣) ديوان ابن المقرى ص .

(٤) أشار الى ثورته المؤرخ يحيى بن الحسين فى غاية الامانى ص ٥٧٢ وقال أنها حدثت سنة ٨٣٩ أى بعد وفاة ابن المقرى بسنتين ولكن يبدو ان هذه الثورة ليست هى الأولى فقد سبقها عدة محاولات بدليل ان ابن المقرى قد إدرك فرار الكرمانى كما سيتضح لنا فيما بعد .

السلطان وطلب منه أن يسمح له بمغادرة اليمن وقد كتب ابن المقرى حول هذا الطلب قصيدة ساخرا فيها منه سانثبتها هنا كاملة لصلتها بالموضوع الذى ندرسه :

الفسخ يطلب منكم الكرمانى   ليحج أو ليسيح فى البلدان

قد كان صوفيا فليس بقاطن   فى بلدة مع أهلها القطان

بل راية التطواف من أرض إلى   أرض ومن وطن إلى أوطان

ولو أنه يهوى المقام بأرضكم   لاقام فيها فى نعيم جنان

لكنه يخشى من الفقهاء ماء   يخشاه كل طلا من الذوبان

فاذا رأى اليمن السعيد كجنة   ألفى بها الفقهاء كالنيران

وجحيمه منهم أضر عليه من   حر الجحيم ومن حميم آن

ومن أدعى منهم له حبا فما   هو غير حب الهر للفيران

وأولوا التفقه ليس يبرح عندهم   لاولى التصوف أعظم الشنان

فئتان مختلفتان جدا هذه   مثل الضباب وتلك كالنينان

يحمى وطيس الحرب بينهما ولا   طعن ولا ضرب بغير لسان

كل يكفر خصمه ويراه من   حزب الضلال وزمرة الشيطان

فترى الفقيه يود للصوفى أن   يفنى وكل غير ربى فانى

ماحجر إسماعيل يقضى غير أن   يغدوا الذبيح محمد الكرمانى

كم ود إسحاق له   أو ذبحة بيدى عدو شانى

مازال يسعى جاهدا فى قتله   لا وانيا عنه ولا متوان

ويسير الاشعار فيه محرضا   فيها عليه لكل ذى سلطان

ويذب أقوالا تبيت سواريا   منه إلى الأمراء والغلمان

ماهنا السلطان إلا بالهجاء   لجمد ذاك الضعيف العانى

كم قال فيه اهاجيا وأتى بها   مدحا لكل خليفة وتهانى

كم حسب الفقهاء عليه مبالغا   فى ذاك ذا جد وذا معان

في دولة المنصور كان إباده	لولا وقته حماية الرحمن
قد كان شب عليه أعظم وقدة	حيث على قاصي الورى والداني
كانت لعمرى وقدة مشبوبة	بهبوب ريح الظلم والعدوان
كادت تذيب بحرها أرواحنا	من قبل أن تدنوا إلى الابدان
كم حرقت من صوف صوفي وهل	للصوف من بقيا مع النيران
قد كان إسماعيل مسعرها ولم	يجعل لها حطبا سوى الكرماني
لكن وقاه الله عز جل جلاله	من حرها المشبوب واللهبان
والآن جدت عزيمته على	سفر يذيب وكائب الركبان
هربا من القوم الاولى يسعون في	إهلاكه في السر والاعلان
فامنن له بالفسح يامالك الورى	فالفسح فيه له أجل أماني
وإذن له بالسير ينجو به	من وقع كل مهند وسنان

مراجع الكتاب

نقتصر هنا على أهم المراجع التي رجعنا إليها في تأليف هذا الكتاب ، وقد حذفنا لفظه « أبو وابن من هذا الترتيب »

(١) الاسنوي :

طبقات الشافعية طبع بغداد سنة ١٩٧٠ بتحقيق عبد الله الجبوري .

(٢) ابن الامير : محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ١١٨٢ هـ

ديوان ابن الامير طبع في مصر سنة ١٩٦٤ م

(٣) أمين : أحمد

ضحى الاسلام طبع في مصر سنة

فجر الاسلام طبع في مصر سنة

(٤) الاهدل : عبد الرحمن بن حسين الاهدل المتوفى سنة ٨٥٥

: تحفة الزمن بذكر سادات اليمن « مخطوط » .

: كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الائمة الاشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربي واتباعه المارقين . طبع في تونس سنة ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور أحمد بكير .

(٥) الاهدل : عبد الرحمن بن سليمان . المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ

النفس اليماني في أجازة القضاة بني الشوكاني « مخطوط »

(٦) بامخرمة : عبد الله « الطيب » بامخرمة المتوفى سنة ٩٤٧ هـ
تاريخ ثغر عدن . طبع ليدن سنة ١٩٣٦ .

(٧) باوزير : سعيد بن عوض « معاصر »
الفكر والثقافة فى التاريخ الحضرمى . طبع مصر سنة ١٩٦١ هـ

(٨) البريهى « من علماء التاسع الهجرى »
تاريخ علماء اليمن « مخطوط »

(٩) ابن بهران : محمد بن يحيى المتوفى سنة ٩٥٧
الكشف البيان عن حال متصوفة الزمان « مخطوط »

(١٠) البيحانى : محمد بن سالم المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ
أشعة الأنوار على مرويات الأخبار . طبع مصر سنة ١٣٩٣

(١١) الجندى : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٣٢
السلوك فى طبقات العلماء والملوك « مخطوط »

(١٢) ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على المتوفى سنة ٥٩٧
: صفة الصفوة . طبع الهند ١٣٨٩
: تلبيس إبليس . طبع بيروت

(١٣) الجيلانى : عبد الكريم بن إبراهيم « من علماء القرن التاسع »
الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل . طبع القاهرة
سنة ١٣٨٣ .

(١٤) الرازى : أحمد بن عبد الله المتوفى بعد سنة ٤٦٠
تاريخ صنعاء . طبع دمشق ١٩٧٤ بتحقيق الاستاذ حسين
العمرى .

(١٥) حاجى خليفة : كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون طبع تركيا
سنة ١٩٤١ .

(١٥) الحامدى : صالح بن على المتوفى سنة ١٣٨٧
تاريخ حضر موت طبع جده سنة ١٩٦٧ م

(١٦) الحبشى : أحمد بن زين المتوفى فى سنة ١١٤٥
شرح العينية طبع دمشق سنة ١٣٩٣ هـ

(١٧) الحبشى : عيد روس بن عمر المتوفى سنة ١٣١٤
عقود اللآل باسانيد الرجال طبع مصر سنة ١٩٦١

(١٨) ابن حجر العسقلانى : أحمد بن على المتوفى سنة ٨٥٦
أنباء الغمر بانبأ العمر طبع مصر سنة ١٩٧١

(١٩) الحضرمى : عبد الرحمن « معاصر »
جامعة الأشاعر طبع صنعاء سنة ١٩٧٤

(٢٠) الخزرجى : على بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢ هـ
: العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية طبع مصر
سنة ١٩١١ هـ طراز أعلام الزمن بذكر أعلام اليمن
« مخطوط » .

(٢١) الذهبى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٧٤٨هـ
العبر فى خبر من غبر طبع الكويت ١٩٦٠م

(٢٢) ابن ابى الرجال : أحمد بن صالح المتوفى سنة ١٠٩٢
مطلع البدور ومجمع البحور « مخطوط »

(٢٣) زباره : محمد بن يحيى المتوفى سنة ١٣٨٠
: ائمة اليمن فى القرن الرابع عشر طبع مصر سنة ١٣٧٥
: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف طبع مصر سنة ١٣٧٦

(٢٤) الزبيدى : محمد المرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥

تاج العروس شرح القاموس طبع مصر سنة ١٣٠٧
النفحة القدوسية بواسطة البضعه العيدروسية « مخطوط »

(٢٥) زرزور . عدنان « معاصر »
الحاكم الجشمى طبع بيروت

(٢٦) الذركلى : خير الدين « معاصر »
الاعلام طبع مصر سنه ١٩٥٧ وما بعدها

(٢٧) زكى مبارك المتوفى سنة ١٩٥٢ م
التصوف الاسلامى طبع مصر سنة ١٩٣٨ م

(٢٨) السبكى : عبد الوهاب بن على المتوفى سنة ٧٧١ هـ
طبقات الشافعية طبع مصر سنة ١٣٢٤ هـ

(٢٩) السخاوى: شمس الدين محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٠٢
الضوء اللامع لاعيان القرن التاسع طبع مصر سنة ١٣٥٢

(٣٠) السقاف : على بن أبى بكر المتوفى سنة ٨٩٥
البرقه المشيقة فى ذكر الخرقه الانيقة وشيوخ الطريقة طبع مصر سنة ١٣٤٧

(٣١) ابن سمره : عمر بن على المتوفى سنة ٥٨٦ هـ
طبقات فقهاء اليمن طبع مصرسنة ١٩٥٧ م بتحقيق الاستاذ فؤاد سيد

(٣٢) الشاطرى: محمد بن أحمد « معاصر »
ادوار التاريخ الحضرمى نشر جده سنة ١٩٦٢ ، ١٩٧٢

(٣٢) الشرجى : أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف المتوفى فى سنة ٨٩٣
طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص . وقد نرمز له بالخواص طبع فى مصر سنة ١٣٢١ هـ

(٣٤) الشلى محمد بن ابى بكر المتوفى سنة ١٠٩٣
: المشرع الروى فى مناقب السادة بنى علوى طبع مصر سنة ١٣١٩

(٣٥) الشوكانى: محمد بن على المتوفى سنة ١٢٥٠
البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع طبع مصر سنة ١٣٤٧

(٣٦) صافى حسين «معاصر»
الادب الصوفى فى القرن السابع بمصر طبع مصر سنة ١٩٦٤

(٣٧) العامرى: يحيى بن ابى بكر الحرضى المتوفى سنة ٨٩٣
غربال الزمان المفتتح بسيرة سيد ولد عدنان « مخطوط »

(٣٨) ابن عربى: محي الدين محمد بن على المتوفى سنة
الفتوحات المكية طبع مصر سنة ١٢٩٣
فصوص الحكم طبع فى مصر سنة ١٩٤٦

(٣٩) عز الدين بن الحسن الإمام المتوفى سنة ٩٠٠
كنز الرشاد وزاد المعاد طبع مصر سنة ١٣٤٦

(٤٠) عمارة بن على بن زيدان المتوفى سنة ٥٦٩
المفيد فى اخبار صنعاء وزبيد طبع مصر سنة ١٩٦٥

(٤١) العمرى : شهاب الدين المتوفى سنة ٧٤٩
مسالك الابصار فى ممالك الامصار فصله مستقلا بتحقيق ايمن السيد طبع القاهرى سنة ١٩٧٤

(٤٢) العقيلى : محمد بن أحمد «معاصر»
من تاريخ الخلاف السليمانى طبع القاهرة سنة ١٩٥٨
التصوف فى تهامه جدة سنة ١٩٦٤ م

(٤٣) على بن نور الدين المكى « القرن الثانى عشر »
نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس طبع القاهرة سنة ١٢٩٣

(٤٤) العيدروس : أبو بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٩١٤

الجزء اللطيف فى التحكيم الشريف طبع القاهرة سنة ١٣٥٥

ديوان حجة السالك ومحجة الناسك طبع القاهرة سنة ١٣٥٥

(٤٥) العيدروس : عبد القادر بن شيخ المتوفى سنة ١٠٣٨

النور السافر فى اخبار القرن العاشر طبع بغداد سنة ١٩٣٤

(٤٦) العيدروسى : عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة ١١١٢

ايناس الصفوه بأنفاس القهوه مخطوط .

(٤٧) القربانى : إسماعيل بن مهدى « معاصر »

نفس الرحمن فيما لاحباب الله من علو الشأن طبع عدن سنة ١٣٨٠

(٤٨) الفاسى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٨٣٢

العقد اليمنى فى تاريخ البلد الأمين طبع القاهرة سنة ١٩٦٣ بتحقيق الاستاذ سيد

(٤٩) القارى : المرشد إبراهيم بن عبد الله « القرن التاسع »

الدر اليمنى فى مناقب الشيخ محي الدين طبع بيروت سنة ١٩٥٩ « بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد »

(٥٠) القشاشى : أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧١

السمط المجيد طبع الهند سنة ١٩٠٩

(٥١) ماسنيون : حياة الحلاج بعد موته مجلة المورد العراقية العدد ٣ سنة ١٣٩٢

(٥٢) متز : آدم : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع طبع بيروت سنة ١٣٨٧

(٥٣) المحبى : محمد آمين المتوفى سنة ١١١

خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر طبع مصر ١٢٨٤

(٥٤) المزجاجى : محمد بن محمد بن ابى القاسم المتوفى سنة ٨٢٩

هداية السالك إلى اهدى المسالك « مخطوط »

(٥٥) المعرى : أحمد بن عبد الله بن سليمان المتوفى سنة ٤٤٧

رسالة الغفران طبع بيروت

(٥٦) المعلمى : أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٢٧٨

ترويح الأوقات فى المفاخرة بين القهوة والقات طبع القاهرة سنة ١٩٧٥

(٥٧) المقبلى : صالح بن مهدى المتوفى سنة ١١٠٨

العلم الشامخ فى أبناه الحق على الآبا والمشائخ طبع القاهرة سنة ١٣٢٨ (٥٨) ابن المقرى : إسماعيل بن أبى بكر المتوفى سنة ٨٣٧

مجموع القاضى أبى الذبيح إسماعيل بن ابى بكر المقرى طبع الهند سنة ١٣٠٥

(٥٩) ابن المهدى: يحى « من علماء القرن الثامن »

صلة الاخزن فى حلية بركة أهل الزمن « مخطوط »

(٦٠) أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الاصفهانى المتوفى سنة ٤٣٠

حليه الأولياء وطبقات الأصفيا طبع القاهرة سنة ١٩٣٣

(٦١) النعمى : حسين بن مهدى المتوفى سنة ١١٨٧

معارج الالباب طبع القاهرة سنة ١٣٧٠

(٦٢) النهى والى: محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٨٨

البرق اليمانى فى الفتح العثمانى طبع بيروت بتحقيق الشيخ حمد الجاسر سنة ١٩٦٧

(٦٣) الحدار : العلامة عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ١٣٩٦

الجواهر فى مناقب الشيخ ابى بكر تاج الاكابر طبع القاهرة سنة ١٣٩١

(٦٤) الواسعى : عبد الواسع المتوفى سنة ١٣٧٩
فرجة الهموم والحزن فى تاريخ اليمن طبع القاهرة سنة ١٩٤٧م
(٦٥) رطيوط : المعلم (من علماء القرن التاسع)
تاريخ المعلم وطيوط « مخطوط »
(٦٦) اليافعى : عبد الله بن اسعد المتوفى سنة ٧٦٨
مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان
طبع الهند سنة ١٣٣٧
روض الرياحين فى حكايات الصالحين طبع القاهرة
(٦٧) يحيى بن الامام القاسم بن محمد المتوفى سنة ١١٠٠
: غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى طبع القاهرة سنة ١٩٦٧
بهجة الزمن ذيل انباء الزمن « مخطوط »
(٦٨) يحيى بن حمزه : الإمام المتوفى سنة ٧٤٧
تصفية القلوب من الاوزار والذنوب « مخطوط »

محتويات الكتاب

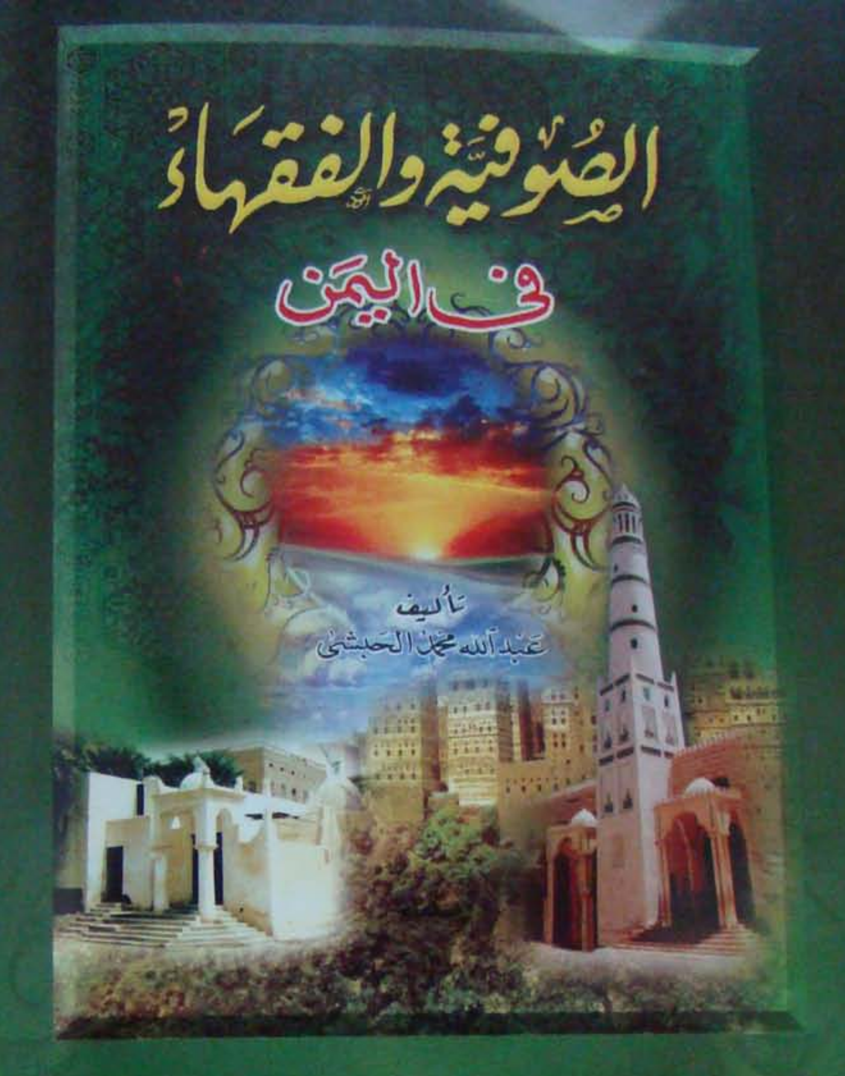
الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٦	١١	الوارثي	الوراثي
٢٧	٥	الميخة	المشيخة
٣٩	٩	همومة	همومهم
٤٠	٥	نوع الشموذة	نوع من الشعوذة
٥٠	٥	حاكم السنى	حاكما سنيا
٥٦	١٩	يحى	يحمى
٧١	١٩	ابن	أن
٧٤	١	وبما	وربما
٨٠	١٦	يلثو	بثوا
٩٤	١٧	اياس وغيرهم	وغيرهم
٩٦	١٠	العموانى	العمرانى
٩٧	١٤	المتكلفين	المكلفين
٩٨	٣	الفقهاء	الصوفية
١١٩	٢١	لاحق	سابق
١٢٧	١٥	وقع	لاوجود لها
١٤١	١١	يستهزئي	يستهزئ
١٤٣	١٣	تفكير	تكفير
١٤٤	٢	المساع	السماع

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	٢	مجازمة	مجازفة
١٤٨	٤	لا أصل له	له
١٤٩	٢	مايعبه	مايعنيه
١٤٩	٣	فان من هذا كله إلخ	فان هناك رجال تحل بهم المشكلات يستطيعون فهم مايقصده ابن عربى وخير لك من هذا كله
١٠٨	١٤	وتلوى	وتشويه
١٥٩	١	الرمكانى	الكرمانى
١٦٢	١٦	الابب	الذاب
١٦٣	١٦	المصن	المحصون
١٦٤	١	وعاش	وعارض
١٦٥	١٥	وهندى	وهدى
١٦٦	٣	الفيه	الفقيه
١٦٦	٤	ال مناظر	ال مناظرة

رقم الايداع بدار الكتب
٣٧٨٤ / ١٩٧٦ م

مطبعة دار نشر الثقافة
١١ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت ٩٤٦٠٧٦



مكتبة الجيل الجديد

اليمن - صنعاء

هاتف: ٢٠٧٦٩٨ - ٢٠٧٨٧٢ - فاكس: ٤٠٩١٥٩

ص.ب.: ٥٤٤ - صنعاء

aljeel@y.net.ye

www.aljeel-aljadeed.com

